

سبحات اليهود
في القرآن الكريم

الكتاب: سيمات اليهود في القرائ .

إعداد ونشر: جمعية القرائ الكريم للتوجيه والإرشاد.

ترجمة: الأستاذ أحمد عودة.

الطبعة الأولى: جمادى الثانية / 1432 هـ - 2011 م.

جميع حقوق الطبع محفوظة .

سبجات اليهود
في القرآن الكريم





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الجمعية:

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة والتسليم على خير خلق الله محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(١).

تشير الآية الى أن الكثير من علماء اليهود والنصارى على معرفة صحيحة وجليّة بنبوّة محمد ﷺ، تماماً كمعرفتهم بأبنائهم التي لا شك فيها، ولا ريب، لأن التوراة والانجيل بشراً به، وذكراه بنعوته وصفاته التي لا تنطبق على غيره.. قال سبحانه: ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾^(٢) وقال تعالى أيضاً: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي

(١) سورة البقرة: ١٤٦.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٧.

اسمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾.

ومما يؤكد ذلك أيضاً ما قاله عبد الله بن سلام وقد كان من أحياء اليهود، ثم اسلم وفيما قال: أنا اعلم بنبوة محمد مني بابني.. فقيل له: ولمه؟ قال إني لا أشك في محمد أنه نبي، أما ولدي فلعل والدته قد خانت.

فحرصهم على الرئاسة الدنيوية والمصالح الشخصية وعنادهم للحق وخبثهم وصفات أخرى ستأتي في هذا الكتيب «سيمات اليهود في القرآن الكريم»، جعلهم ينكرون نبوة محمد ﷺ وما نزل عليه من الوحي، ولأهميّة إحياء القرآن الكريم وما جاء فيه من تعاليم وإحياء سنة رسوله الكريم ﷺ قامت جمعية القرآن الكريم بأخذ الموافقة على ترجمة هذا الكتيب لإحياء التراث في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، يقول الامام الخميني قدس سره: «نحن مخلوقون من أجل إحياء سنة نبي الاسلام ﷺ وإحياء القرآن الكريم».

نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لذلك ولمعرفة المزيد من التعاليم القرآنية إنه سميع مجيب.

جمعية القرآن الكريم

للتوجيه والارشاد

في ٢٦/ربيع الثاني/١٤٣٢هـ

الاجزاء

الى السر المنتظر ﷺ الذي يملأ الارض قسطا وعدلا
ويقيم دولة السماء في الأرض
الى الشهداء الذين روت دماؤهم تراب هذه الأرض
فأنبتت بدورا وشموسا وضاءة
الى المجاهدين الذين يقارعون اليهود الطغاة
الى المستضعفين في الارض

سيمات اليهود في القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة الثانية للكتاب:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد وعلى آله الطاهرين وأصحابه المنتجبين. منذ صدر الإسلام وجد التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، خصوصاً، في أحاديث المعصومين عليه السلام وتعاليمهم إلى جانب التفسير الترتيبي، لكن مع حلول القرن الرابع عشر حيث تم الرجوع إلى القرآن، وبدأت ظاهرة تدوين الأفكار والمسائل الدينية، كان للتفسير الموضوعي مكانة رفيعة وخاصة، لكن مع ظهور تفسير «القرآن بالقرآن» في آثار المفسرين الكبار مثل العلامة الطباطبائي قدس سره، راج هذا الأسلوب من التفسير بين المحققين وطلاب المعارف القرآنية بشكل كبير.

منذ بداية القرن الخامس عشر عاد التفسير الموضوعي ينتشر بشكل واضح، وأخذت الحوزات العلمية والجامعات تدون وتشر التفاسير الموضوعية، وقد لاقى استقبالا من مختلف طبقات الناس، ومع الإهتمام بهذا النوع من التفاسير والتوجه إلى مزاياه، ينتظر أن ينتشر ويشمل جميع المجالات والمعارف القرآنية، وتصبح معرفة المواضيع القرآنية المختلفة أكبر وأعمق، وبالتالي، أكثر شمولية.

من الموضوعات المهمة المناسبة للتفسير والبيان موضوع «اليهود- بنو إسرائيل»، فهذا الموضوع يحوز على أهمية كبرى من الجهة الاعتقادية، بالإضافة إلى الناحية التاريخية والاجتماعية، خصوصاً، علاقة اليهود مع المسلمين وكيفية تعاملهم معهم، لذلك يمكن القول أن هذا الموضوع يحتوي على دروس ومطالب مهمة جداً، وحوادث كبيرة وكثيرة لا يمكن غض الطرف عنها، لاسيما إذا قارنا تاريخ اليهود وحوادثهم بالأحداث التي جرت بعد رحيل الرسول الأكرم ﷺ من الدنيا، وأوجه التشابه الكبيرة بينها، وهذا ما أشار إليه الرسول ﷺ في حديث حيث قال: «أن هذه الأمة ستركب ما ركبته بنو إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخله هؤلاء»^(١).

(١) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ١٢، ص ٤٢.

مع الانتصار العظيم الذي حققه السيد الإمام روح الله الموسوي الخميني قَدَّرَهُ اللهُ، وإنشاء الجمهورية الإسلامية في إيران، ومع بزوغ فجر إسلامي جديد في لبنان مع ولادة المقاومة الإسلامية بدأ الإهتمام باليهود وتاريخهم أكثر فأكثر، وذلك من أجل معرفة الماهية الحقيقية لهذا العدو المتغطرس، ومعرفة المسائل المختلفة التي تتعلق بتاريخ وحاضر هذا الشعب العدواني، وكيفية التعامل مع هؤلاء بحسب السنن الإلهية والآثار المترتبة على سلوكهم، لهذا يعدّ الكشف عن بعض تاريخهم، وإظهار الحقائق التي وردت في القرآن الكريم درساً مهماً للمقاومين الشرفاء، ولكل شريف في هذا العالم، وتفتح لهم سبلاً جديدة من التبصر واليقظة.

إن موضوع اليهود وتاريخهم لا يمكن ضمه بين دفتي هذا الكتاب، وهو أوسع وأشمل من أن يتناوله هذا الكتاب تفسيراً موضوعياً كاملاً حول اليهود، بل عبارة عن درس منتخب من المدرسة القرآنية، يتناول بعض الجوانب التاريخية والاجتماعية والسياسية لليهود، وبشكل مختصر، ويبين سلوك اليهود في علاقتهم مع الله تعالى والأنبياء والأوصياء والشعوب الأخرى من غير العرق اليهودي، خصوصاً، مع خاتم الأنبياء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين، وهذا يعطي إشارة واضحة حول سلوكهم في الزمن

الحاضر، وكيفية تعاملهم وارتباطهم مع الأمم الأخرى.
لقد جاء هذا الكتاب في خمسة أجزاء معتمداً على الآيات
الشريفة في القرآن الكريم:

١- تاريخ اليهود.

٢- نعم الله على بني إسرائيل.

٣- التموضع الفكري والعقائدي لليهود.

٤- أفعال اليهود العملية.

٥- نتيجة أفعال اليهود.

ولقد تم الرجوع في تفاسير بعض هذه الآيات إلى كتاب
الميزان للسيد الطباطبائي، وكتاب مجمع البيان للشيخ الطبرسي
رحمهما الله تعالى، هذا بالإضافة إلى مقارنة مختصرة بين
أفعال اليهود في الماضي وتطبيقها على واقع الحاضر.
ولا بد من الاعتراف أن هذا العمل المتواضع لا يحيط
بالمسألة اليهودية، وبالتالي فهو بحاجة إلى تطوير من قبل
المحققين والمهتمين في الشأن القرآني، لما لهذه المسألة
من أهمية، خصوصاً، وأن العدو الصهيوني يشكل رأس حربة
العالم المستكبر والظالم في وجه المسلمين والمستضعفين في
الأرض.

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَقْدِمَ هَذَا الْعَمَلُ خِدْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُجَاهِدِينَ وَالشُّرَفَاءِ، فِي سَبِيلِ الْإِطْلَاعِ عَلَى تَارِيخِ أُمَّةِ الْيَهُودِ
الْفَاسِدَةِ، وَمَعْرِفَةِ مَا هِيَ هَذَا الشَّعْبُ الْمَجْبُولُ عَلَى الظُّلْمِ وَالْقَتْلِ
وَالْعُدْوَانِ، فَتَدْرِكُ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ أَكْثَرَ حَقِيقَةِ هَذَا الْعَدُوِّ، وَيَشْكَلُ
عِنْدَهَا دَافِعًا أَكْبَرَ لِمُوَاجَهَةِ هَذِهِ الْغُدَّةِ السَّرْطَانِيَّةِ وَاسْتِئْصَالِهَا
مِنْ عَلَى وَجْهِ الْمَعْمُورَةِ.

وَاللَّهُ وَلِي التَّوْفِيقِ

سيمات اليهود في القرآن الكريم

الفصل الأول:

تاريخ اليهود

يعدّ الدين اليهودي من الأديان السابقة والقديمة والمعروفة، ولطالما اهتم المؤرخون والمحققون بطبيعة تشكُّل هذا الدين وانتشاره ونموه، بالإضافة إلى علاقته بالأديان الأخرى، خصوصاً بالإسلام. والقرآن الكريم يبيّن، في موارد كثيرة ومتعددة، مواقف اليهود من الإسلام، ويذكر المسلمين في العديد من آياته ليأخذوا العبرة من تاريخ اليهود وسيرتهم، كذلك، أظهر القرآن الكريم الكثير من انحرافات بني إسرائيل ومؤامراتهم طوال التاريخ، بحيث نشير إليها - إن شاء الله - في بحث الآيات التي تتكلم عن اليهود. لكن لا بد من التعرّض إلى ماضي هذه الأمة بشيء من الإجمال، لأنه من دون معرفة تاريخ اليهود ونشأتهم، لا يمكن فهم معارف القرآن ومفاهيمه التي تتحدث عن بني إسرائيل، من هنا، كان لزاماً أن نشير ولو باختصار إلى تاريخ هذه الأمة وتطور نشأتها.

من المعروف أن اليهود ينتسبون إلى العرق السامي^(١)، كذلك العرب والآشوريون، فهم من العبرانيين الذين يرجع نسبهم إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام.

إن عظمة النبي إبراهيم عليه السلام جعل اليهود والمسيحيين وغيرهم من الأمم ينسبون أنفسهم إلى هذا النبي ﷺ. غير أن القرآن، في مقابل هذه الإدعاءات، يعرّفنا أن إبراهيم عليه السلام كان ينادي بالتوحيد والتسليم لله عز وجل، ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢).

ولد النبي إبراهيم عليه السلام في مدينة (أور) شرق بابل قبل ألفي عام من ولادة المسيح عليه السلام (٢٠٠٠ ق.م.)، في حدود ٢٦٠٠ عام قبل هجرة الرسول الأكرم ﷺ. هاجر إلى كنعان وهو في عمر (٥٧ سنة) وكان برفقته زوجته سارة ونفر آخرون، وهبه الله سبحانه ولدين وهو في عمر الكهولة (العقد التاسع) هما: إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر، ثم إسحاق عليه السلام وأمه سارة.

إسحاق عليه السلام رزق بولدين توأمين أحدهما يدعى عيسو (الأشعر) لأنه ولد وكان كثير الشعر في بدنه، والثاني سمّي يعقوب لأنه ولد عقب أخيه.

بعد إبراهيم عليه السلام بُعث يعقوب عليه السلام نبياً، ثم هاجر مع أبنائه

(١) الساميون هم أبناء سام بن نوح عليه السلام.

(٢) سورة آل عمران: ٦٧.

وعشيرته من كنعان إلى مصر بسبب القحط والجفاف الذي أصاب أرض كنعان، والقصة معروفة وقد وردت في القرآن الكريم في سورة يوسف (قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وعرف أبناؤه «بني إسرائيل» وعاشوا في مصر حياة رغيدة لفترة من الزمن.

عاش أبناء يعقوب (بني إسرائيل) قبائل متعددة في مصر، ونالوا قسطاً وفيراً من العلوم والفنون المعروفة آنذاك، واشتهروا بين الناس، وكان لهم موقع مرموق وحيثية رفيعة، مما جعلهم في موقع يحسدون عليه من قبل المصريين (أصحاب الأرض الحقيقيين). أحس المصريون بخطر موقعهم في البلاد، لذلك سعوا بشتى الوسائل كي يبعدهم عن المناصب الحساسة والمواقع المهمة، ولم يتوان الفراعنة عن أذيتهم والإضرار بمصالحهم، خصوصاً في زمن حكم الفرعون (رعمسيس الثاني).

لقد أذّل رعمسيس الثاني بني إسرائيل، فاستعبدهم وعذبهم بعدما علم بأن مولوداً منهم سوف يدمر سلطانه ويسقط حكمه؛ لذلك أمر الفرعون بقتل الأبناء الذكور واستحياء الإناث من المولودين، كذلك أمر بفصل الرجال عن النساء، وبقر بطون الحوامل واستخراج الأجنة منها، لكن إرادة الله تعالى كانت فوق كل ذلك.

في هذه الأحوال والشروط الصعبة، ولد طفل يُدعى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من أب من بني إسرائيل اسمه عمران، كان متزوجاً من ابنة عمه.

خافت أم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على طفلها، فأخفته لفترة من الزمن عن

عيون جواسيس الفرعون، ثم ألهمها الله سبحانه فوضعت في التابوت، وألقته في اليم، فأخذه فرعون إلى قصره. مع إصرار زوجته لم يقتل الفرعون موسى عليه السلام، وبذلك أنجاه الله تعالى من الموت المحتم، وتربى في بيت عدو الله سبحانه، يقول عز وجل: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ * أَنِ اقْذِفِي فِي التَّابُوتِ فَاقْذِيفِي فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي * إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾ (١).

عندما بلغ موسى عليه السلام وأصبح راشداً، آتاه الله عز وجل العلم والحكمة، قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢)، وكان في حفظ الله ورعايته، ثم بعثه نبياً لهداية بني إسرائيل والأمم الأخرى، لكن بني إسرائيل تبعوه وتعلقوا به أكثر من غيرهم بسبب الظلم الذي كانوا يتعرضون إليه، والأذى الذي كان يلحق بهم، فكانوا بحاجة إلى قائد ومخلص.

أخذ موسى عليه السلام زمام قيادة بني إسرائيل، ونهض في وجه فرعون وملأئه، وبدأت المواجهة العلنية بين الحق والباطل، هناك أمر الله سبحانه موسى عليه السلام أن يحمل قومه خفيةً ويخرجوا من مصر سراً،

(١) سورة طه: آية ٢٨-٢٩-٤٠.

(٢) سورة القصص: ١٤.

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٰ إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ (١)، لكن فرعون تبعهم يريد قتلهم، ولحق بهم عند ساحل البحر الأحمر. في ذلك الموقف الشديد أوحى الله تعالى لموسى ﷺ، فضرب البحر بعصاه، فانفلق البحر وظهرت اليابسة، وعبر موسى ﷺ مع أصحابه وقومه. أراد فرعون وجيشه العبور واللاحق بهم، لكن إرادة الله تعالى أغرقتهم، فعاد البحر كما كان وغرقوا جميعاً في الماء، قال عز وجل: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبِدْنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (٢).

بعد ذلك أمر الله سبحانه بني إسرائيل بالسير إلى أرض فلسطين، غير أنهم تمردوا على الأوامر الإلهية، فتأهوا في صحراء سيناء، قال سبحانه: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنُودِخُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَبِّجَانٍ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانْكُمُ غَالِبُونَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنُودِخُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَازْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَتَنَّا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً

(١) سورة الشعراء: ٥٢.

(٢) سورة يونس: ٩٠-٩٢.

يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١﴾ .

في هذه الأثناء جرت عليهم حوادث كثيرة في أرض التّيه، وفي هذه الفترة من الزمن ذهب موسى ﷺ مع بضعة من أصحابه إلى جبل طور سيناء للمناجاة^(٢)، وخلف أخاه هارون نائبه في قومه، بقي موسى ﷺ في جبل الطور أربعين ليلة، حيث أنزل الله فيها الألواح على موسى ﷺ، وشملت هذه الألواح الأصول والعقائد والشرائع اليهودية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣﴾، من بين هذه العقائد ما يعرف بالوصايا العشرة أو «الأحكام العشرة» وهي مواثيق بني إسرائيل مع الله تعالى.

(١) المائة: ٢١-٢٤ و٢٦.

(٢) جبل الطور يقع في جنوب شبه جزيرة سيناء بين قناة السويس وخليج العقبة ويعرف اليوم « بجبل موسى».

(٣) الأعراف: ١٤١-١٤٢.

أهم ما جاء في المواثيق «الوصايا العشرة»:

١. أن لا يجعلوا مع الله إلهاً آخراً.
٢. ولا يعبدوا الأصنام.
٣. ولا يدعوا الله (يهوه) باطلاً.
٤. وأن يحترموا يوم السبت.
٥. ويحترموا آباءهم وأمهاتهم.
٦. وأن لا يقتلوا.
٧. ولا يزنوا.
٨. ولا يسرقوا.
٩. ولا يشهدوا الزور وينسبوه لغيرهم.
١٠. ولا يعتدوا على أموال الغير ولا على ناموسهم وعبيدهم.

قام السامري أثناء غياب موسى ﷺ بخداع بني إسرائيل، فصنع لهم عجلاً له خوار فهم له عابدون، هذا العمل أغضب الله سبحانه كما أغضب موسى ﷺ، فحرقه موسى ﷺ وذره في البحر. كذلك يذكر القرآن الكريم حوادث كثيرة جرت مع موسى ﷺ لا يسع البحث لذكرها، منها موسى والخضر ﷺ، وقصة بقرة بني إسرائيل في سورة البقرة...

توفي موسى ﷺ عن عمر يناهز (١٢٠ سنة)، واستوطنت أمته أرض فلسطين المعروفة بخضرتها وجمالها واعتدال هوائها.

فاستقروا فيها رديحاً طويلاً من الزمن تحت ناظر ثلّة من الأنبياء والأوصياء، يعلمونهم شريعة موسى ﷺ والتوراة، وتوسع حكمهم فكان حكام اليهود يديرون العباد والبلاد حتى ظهر (بخت نصر) حاكم بابل في سنة ٦٠٠ ق.م. وهاجم أرض فلسطين واحتل بيت المقدس، فقتل عدداً كبيراً من اليهود، وأخذ البقية أسرى إلى أرض بابل، وأحرق ما كان عندهم من آثار، ومن جعلتها نسخ التوراة. بقي اليهود أسرى في بابل حدود (٥٠ عاماً) من دون كتاب أو معبد، يعيشون حياة صعبة، حتى جاء (كورش) أول حاكم من سلالة «هخامنشيان» في حدود سنة ٥٣٠ ق.م. فجرد حملة وهاجم بابل، ففرض على حكم الكلدانيين، وحرّر اليهود من الأسر وأعادهم بوساطة من عُزير^(١) وتحت إمرته إلى أرض فلسطين، وهناك بدأ عُزير كتابة التوراة من جديد.

بعد عدة قرون هاجم الرومان مدينة القدس، وذلك في عام ٧٠ ق.م. ودمروا المدينة المقدسة وتفرق اليهود في العالم، وتحملوا شتى أنواع الذل والمهانة.

في هذه الفترة من الزمن، توجه عدد من اليهود إلى أرض يثرب في جزيرة العرب، وكان الدافع إلى ذلك علمهم بظهور نبي آخر الزمان ﷺ بحسب (وعد التوراة)، فأرادوا أن ينتظروا ظهوره ﷺ الذي بشر

(١) يُعدُّ عُزير الشخصية الفذة والمحترمة الأولى بين اليهود بعد موسى ﷺ.

به التوراة، حتى أنهم كانوا يتوعدون أعداءهم بظهور هذا النبي ﷺ، وأنهم سوف ينتقمون منهم ويبيدونهم. وقد مال إليهم بعض العرب في يثرب وقبلوا دينهم اليهودي.

عندما أشرقت شمس الإسلام، كان اليهود في يثرب قد تشكلوا في عدة قبائل أهمها: بني قريظة، وبني النضير، وبني قينقاع.

لقد جاء اليهود إلى مدينة يثرب وفقاً للوعد التوراتي، وكان يُنتظر منهم أن يكونوا أول من يؤمن برسالة النبي محمد ﷺ، ويدافعوا عن رسالته بشدة، خصوصاً، بعدما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة، لكنهم انشغلوا بجمع الثروات، وأخذتهم الدنيا بزینتها وبهرجها، وبدل أن يسلّموا ويؤمنوا بالرسالة الجديدة، راحوا يقاتلون المسلمين بشدة ويعاندون الوحي بصلافة، ولم يقفوا عند هذا الحد، بل راحوا يدسون الدسائس والمؤامرات للمسلمين، ويحرضون المشركين ضد الرسول الأكرم ﷺ وأتباعه من المؤمنين، والقرآن الكريم يشير في كثير من آياته إلى تلك الدسائس والجرائم، بحيث نوردها إن شاء الله تعالى في موضعها.

وقد كان لليهود الدور الكبير والمهم في تحريف معارف القرآن، وإدخال الإسرائيليات في التفاسير، وخلق الإنحرافات الفكرية والعقائدية بعد رحيل الرسول الأكرم ﷺ من الدنيا، ثم إنهم عمدوا إلى بث الفرقة بين المسلمين، وجهدوا في إخراج الفتن وتضعيف مذهب التشيع على الخصوص، وتقربوا من السلاطين الظالمين

يبررون أعمالهم الظالمة وانحرافاتهم المخالفة للشرع والدين، ويدافعون عنهم، وهذا الأمر بحاجة إلى بحث مستقل.

كذلك نشاهد اليوم أعمال اليهود في فلسطين والعالم، فالصهيونية هي رأس حربة الاستكبار والظلم في هذا العالم، وكل التجاوزات والدسائس والظلم الحاصل ضد المسلمين خاصة، لليهود فيه سهم كبير وأساسي، ولعل القرآن الكريم خير من يشير إلى هذا المعنى حيث يقول: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾^(١).

أسماء اليهود:

اشتهر أتباع موسى ﷺ بأسماء مختلفة منها: اليهود، بني إسرائيل، أهل الكتاب؛ العبرانيين؛ ولكل من هذه الأسماء دليل. فالقرآن الكريم عندما يذكرهم في زمن موسى ﷺ، يعبر عنهم باسم (بني إسرائيل) وإذا أراد أن يشير إليهم في زمن الرسول الأكرم ﷺ، يذكرهم باسم (اليهود)، فقد ذكروا في القرآن باسم بني إسرائيل: (٤١) مرة، وباسم اليهود (٨) مرات، أما في سائر الموارد فقد عبر عنهم (بأهل الكتاب).

(١) سورة المائدة: ٨٢.

١- اليهود:

لقد ذكروا في وجه هذه التسمية دليلين:

أ- اليهود من (هاد- يهود- هوداً) بمعنى التوبة والرجوع الهادى، وقد سمو بهذا الاسم لقول موسى ﷺ في الميقات بعد الصاعقة وبعدهما أذنب قومه: **«إِنَّا هُنَا إِنِّيكَ»** (١).
ثم أطلق هذا الاسم على قومه تدريجياً بعد هذه الحادثة، فصاروا يُدعون (يهوداً) (٢).

ب- كلمة اليهود مأخوذة من (يهودا)، وهو اسم أحد أبناء يعقوب النبي ﷺ، بحيث أبدلت الذال دالاً، وراحوا يدعون باليهود تدريجياً (٣).

٢- بني إسرائيل:

إسرائيل من ألقاب نبي الله يعقوب ﷺ، وأبناؤه عرفوا (ببني إسرائيل) أي أبناء إسرائيل، وقد ذكروا في هذه التسمية سببين:
الأول: أن إسرائيل كلمة عبرية مركبة من «إسرا» أي عبد و«ئيل» يعني الله تعالى. وبذلك تكون كلمة إسرائيل بمعنى «عبد الله»، ويعقوب ﷺ كان يدعو نفسه بعبد الله لذلك لقب بهذا الاسم.

(١) الأعراف ١٥٦.

(٢) راغب أصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن (دار الكتاب العربي)، تحقيق نديم مرعشلي، ١٣٩٢ هـ.ق، ص ٥٤٤.

(٣) ناصر مكارم شيرازي وآخرون، تفسير نمونه، (تهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٥٣) نقلًا عن تفسير أبو الفتح، ج ٥، ص ٣٠٠.

الثاني: يذكرون في أساطيرهم أن إسرائيل في اللغة العبرانية تعني (قاهر الأبطال)، وتطلق على من يهزم الأبطال في المصارعة، ويعقوب عليه السلام بحسب روايتهم، صارع الله تعالى في أحد الأيام أو (أحد الملائكة الذي هو مظهر قدرة الله عز وجل) فهزمه وانتصر عليه ولقب بإسرائيل، أي قاهر الأبطال.^(١)

٣- العبرانيون:

يدعى اليهود بالعبرانيين، أي أنهم ينتسبون إلى النبي إبراهيم عليه السلام. والعبراني مشتقة من عَبْرَ (عبور النهر)^(٢) لأن إبراهيم عليه السلام عبر النهر ودخل أرض كنعان، لذلك سمي بالعبراني، في حين أن البعض يقول بأن جد إبراهيم عليه السلام عبر النهر فسمي بذلك.

٤- أهل الكتاب:

القرآن الكريم يخاطب أتباع الأديان المختلفة ومنهم اليهود (بأهل الكتاب)، لأن جميع الأديان السماوية تشترك بالأحكام في كثير من الأمور، لكن القرآن، في الأغلب، يطلق هذا اللفظ على أتباع موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام، لأنهما أصحاب كتب سماوية مهمة (التوراة والإنجيل)، والقرآن توجه بالخطاب إليهما أساساً.

(١) حسين توفيقى، ص ٧٦ و٧٥ به نقل از تورات سفر بيدايش ٢٤:٢٢-٢٢ قاموس كتاب مقدس، ص ٩٥٧ و٥٢.

(٢) راغب أصفهاني، مصدر سابق، ص ٢٢١.

كتاب اليهود المقدس:

عُرف كتاب اليهود المقدس باسم التوراة أو العهد القديم. **العهد القديم** وهو مقابل العهد الجديد (كتاب المسيحية المقدس)، وقد أطلق هذا الاسم (العهد القديم) على مجموع آثار اليهود المقدسة وعددها ٣٩ كتاباً. أهمها: خمسة كتب وخمسة أسفار باسم التوراة، أما سائر الكتب فقد كتبت بعد موسى ﷺ. **التوراة**: كلمة عبرية تعني القانون والشريعة، وقد اشتهر الكتاب المقدس لدى اليهود بالتوراة؛ لأن فيه أحكاماً وقوانين كثيرة، واعتبروا هذه الأحكام هي الشريعة. يُعدّ التوراة أهم قسم من العهد القديم، وهو يشمل خمسة كتب أو خمسة (أسفار)، وقد عرفت بالأسفار الخمسة. من هنا، يعتقد اليهود أن هذا القسم من الكتاب المقدس (التوراة) هو كلام الوحي المبلغ من قبل الله تعالى.

كاتب الكتاب المقدس:

لا شك أن موسى ﷺ من الأنبياء أصحاب الشرائع، وقد نزلت عليه الألواح والأحكام الإلهية، واشتهرت باسم التوراة، وقد صرح القرآن الكريم بوضوح بنزول التوراة. **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُخْفِظُوا﴾**

مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً^(١).

إن أجزاء من شريعة موسى ﷺ ومحتوى التوراة - وليس الألفاظ - موجودة الآن، كما كانت موجودة زمن موسى ﷺ، وقد استند إليها القرآن الكريم ودعا اليهود للعمل بها. لكن الأکید أن سائر الكتب المقدسة لدى اليهود لا تمتّ بصلة إلى الوحي الإلهي، ولا إلى النبي عيسى ﷺ، أما فيما يتعلق بالمتن الفعلي للتوراة حالياً فلا يمكن الاطمئنان بأنه وحي إلهي بالكامل، أو أنه هو التوراة الحقيقي الذي نزل على موسى ﷺ، بل إن الشواهد التي بين أيدينا تقتضي القول أن توراة موسى ﷺ قد تعرضت إلى التحريف والتغيير. مثال:

١- تذكر التوراة الحالية حادثة وفاة موسى ﷺ، كذلك تأتي على ذكر أسماء لمدن قامت بعد موسى ﷺ، وهذا دليل على أنها كتبت بعد النبي موسى ﷺ.

٢- جاء في التوراة أن يعقوب النبي ﷺ صارع الرب تعالى فصرعه وتغلب عليه، كذلك ما ينسب إلى موسى ﷺ وبعض الأنبياء ﷺ، بحيث أن القارئ يجزم بأنها محض خرافات، وقصص أطفال، لا يمكن أن تكون من الكتاب المقدس الحقيقي.

توضيح:

هناك كتب أخرى لدى اليهود مثل (التلمود)، وهو كتاب يفسر

(١) سورة المائدة: ٤٤.

الشريعة اليهودية وبيّن أحكامها وقد كتبه الرهبان، ولا يعد جزءاً من الكتب المقدسة.

يذكر التاريخ أن التوراة قد اندثرت كلياً في مرحلتين من الزمن،

الأولى: في زمن حكم سليمان عليه السلام (جلوس ٩٧٣-٩٣١ ق.م)

عندما فتحوا الصندوق (التابوت) فوجدوا أن الألواح مفقودة.

والثانية: في زمن بخت نصر (٦٠٠ ق.م) عندما هاجم المدينة

المقدسة، فقتل وسبها، ثم أحرق التوراة وجميع الآثار المقدسة،

وبقي اليهود ٥٠ عاماً في الأسر (في بابل) من غير كتاب ولا

معبد، ثم جاء عزير المعظم عند اليهود بعد موسى عليه السلام، وكتب

التوراة مجدداً بالاعتماد على حافظته، حتى دُعِيَ بابن الله عزّ

وجلّ.

سيمات اليهود في القرآن الكريم

الفصل الثاني:

نعم الله على بني إسرائيل:

إن النعم الإلهية تفيض باستمرار على الخلائق، خصوصاً الإنسان، غير أن الله تعالى قد خص اليهود من بين سائر الأمم بعنايات خاصة وبارزة، وأتم عليهم الحجة في هذا الطريق، لكنهم بدلوا النعمة كفراً وعناداً، وواجهوا نعم الله تعالى باللحاجة والتذرع حيناً، والإصرار على العناد في المواقع الخاطئة والمواقف غير المناسبة أحياناً، حتى استحقوا العذاب الإلهي على أفعالهم هذه؛ من كفران النعمة إلى عبادة الأهواء وحب الدنيا.

١ - نعمة إرسال الأنبياء بكثرة:

يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَآرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا﴾^(١)
أ- نعمة الهداية من النعم الإلهية العظيمة، وهي تتحقق بإرسال

(١) سورة المائدة: ٧٠.

توضيح: راجع الآيات التي تتحدث عن نعم الله تعالى على بني إسرائيل: ١٦-١٧ من سورة الجاثية.

الرسل والأنبياء، لذلك يُعرّف القرآن الكريم بعثة خاتم الأنبياء محمد ﷺ بالمنة الإلهية على أمة الإسلام: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزَكَّيَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١).

ب- لقد اختار الله تعالى لبني إسرائيل واحداً من أهم وأعظم الأنبياء، وهو صاحب شريعة مقدسة وكتاب سماوي، ويُعدّ من أنبياء أولي العزم، بحيث جاء بعده عدد كبير من الأنبياء ليبلغوا رسالته ويبينوا شريعته، وهو النبي موسى ﷺ. والقرآن الكريم يتحدث عن عظمة هذا النبي، ليس فقط في عناية الله الخاصة بولادته وترعرعه في بيت فرعون، بل اختاره الله عز وجل ليكون كليمة: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتَكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٢).

ثم خصّه تعالى بمعجزات كثيرة في بني إسرائيل حيثما ذهب وجاء، كل ذلك لهدايتهم، وهذه نعمة كبيرة لبني إسرائيل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ (٣).

(١) آل عمران: ١٦٤.

(٢) الأعراف: ١٤٤.

(٣) الإسراء: ١٠١.

ج- أرسل الله تعالى إلى بني إسرائيل، بالإضافة إلى نبي الله موسى ﷺ، عدداً كبيراً من الأنبياء جاؤوا بعده لهدايتهم (على شريعة موسى ﷺ وتوراته)، بحيث كان بإمكان اليهود أن يستفيدوا من هذه النعم الوفيرة (بعثة الرسل)، وقبلوا دعوتهم للوصول إلى الكمال والسعادة، من هؤلاء الأنبياء: نبي الله يعقوب ﷺ، يوشع ﷺ، داوود ﷺ، سليمان ﷺ، إلياس ﷺ ويحيى ﷺ.

د- قابل بنو إسرائيل نعم الله بالكفران، فبدل أن يقدروا هذه النعم الكبيرة ويشكروا الله تعالى ويطيعوا الأنبياء، واجهوهم بأسوأ معاملة فأذوهم وكذبوهم وقتلوهم، وكانوا يواجهون كل حكم إلهي يرونه مخالفاً لأهوائهم وحبهم للدنيا بالعنف والشدة والعتو، وهذا يحيى ﷺ الشاهد الأبرز على ما فعلوه بالأنبياء ﷺ، لذلك نرى القرآن الكريم في ذيل الآية مورد البحث يقول: ﴿كَلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾^(١).

٢- تفضيلهم على الأمم المعاصرة:

يقول تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

(١) سورة المائدة: ٧٠.

(٢) البقرة: ٤٧ و١٢٢.

النِّعْمَةُ: نعمة الله سبحانه، بكسر النون: منه^١ وما أعطاه الله تعالى العبدَ ممّا لا يمكن غيره أن يعطيه إياه كالسمع والبصر، والجمع منهما نِعْمٌ ونِعْمٌ. (١)
ونعمتي أي نعمة الله تعالى.

أ- إن التوجه إلى نعم الله سبحانه وذكرها يوجب تقوية التواضع والتعبد والشكر والتقدير لدى الإنسان، وهذا الأمر يدفعه إلى عدم منح ما لديه بخساً.

ب- لقد ذكرت الآية المباركة شأن التفضيل بشكل مستقل بعد بيان النعمة الإلهية، وهذا يظهر عظمة هذه النعمة.

ج - ان الله تعالى قد شمل بني إسرائيل بنعم كثيرة - من أهمها؛ تفضيلهم على غيرهم من الأمم: كإرسال الأنبياء بشكل متكرر، إنزال التوراة، المدد الغيبي والنصر على الأعداء - بما لم يشمل به سائر الأمم والأقوام المعاصرة التي كانت في زمن بني إسرائيل، وهذا الأمر يجعل التكليف الملقى على عاتقهم أكبر وأثقل.

د - بدل أن يشكر بنو إسرائيل الله عزّ وجلّ على هذا الامتياز الذي منحهم إياه من دون سائر الأمم، كفروا بنعمة التفضيل وأحالوها إلى أبشع صورها.

(١) لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، دار المعارف، بيروت، ج٦، ص ٤٤٧٩.

أولاً: لقد عدّوا هذا الامتياز الإلهي امتيازاً ذاتياً وتفضيلاً لهم في العرق والنسل، (وليس لطفاً وفرصة ممنوحة من الله تعالى من أجل هدايتهم)، وتعاملوا مع سائر الخلق بروحية مستكبرة ونفسية فوقية وطفيان على عبيد الله الآخرين.

ثانياً: أظهروا العناد والعصيان في مقابل الله تعالى، لذلك استحقوا غضبه ولعنته عليهم، واشتروا الذلة والمسكنة لأنفسهم. هـ - إذا لم يُستفد من النعمة بالشكل المطلوب، ولم تقدر كفاية، فإنها سوف تتبدل إلى نقمة، وهذه سنة الله تعالى ولا تبدل لسنته.

٣- الانتصار على فرعون:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾^(١).

أ- حكم الفراعنة مصر لعدة قرون، وكان اليهود - كما الشعب المصري - يعانون أشدّ العذاب ويتعرضون لشتى أنواع الظلم والطفيان، خصوصاً عندما وصل رعمسيس الثاني إلى الحكم، وكان قلقاً على مستقبله ومصيره، لذلك لم يتورع عن ارتكاب الجرائم والجنايات والظلم بحق اليهود، حتى قتل الأطفال

(١) سورة البقرة - ٥٠.

توضيح: فرعون هو الاسم الغالب على ملوك مصر في فترة الفراعنة لكن المقصود بفرعون في هذه الآية هو رعمسيس الثاني.

والرضع، وبقر بطون النساء الحوامل، وكان يعد نفسه إلهاً فوق البشر والحجر، لذلك أهلكه الله سبحانه شر هلاك، وكانت هذه نعمة كبيرة على بني إسرائيل.

ب- إن فرار موسى عليه السلام وقومه ليلاً من فرعون يدل على ضعف الإمكانيات المادية لدى موسى عليه السلام وأتباعه في مقابل فرعون.
ج - لقد فلق الله تعالى نهر النيل العظيم لموسى عليه السلام وقومه الذين خرجوا هرباً من فرعون، وبأمر من (الله ولله) تعالى، ونجاهم إلى الضفة المقابلة، في حين أن العبور كان مستحيلاً في تلك الحال، خصوصاً مع وجود هذا العدد الكبير من بني إسرائيل.

د - إن نعمة نجات بني إسرائيل وهلاك فرعون كان أمام عيون القوم (اليهود)، ولم يكن من الممكن تناسي هذه الحادثة العظيمة أو تكذيبها، لذلك عبّر القرآن الكريم: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾.

هـ - بعد انتصار بني إسرائيل على فرعون ووصولهم إلى برّ الأمان، سرعان ما تناسوا كل شيء، فبدل إظهار الشكر لله تعالى والحركة في محور التعاليم والتشريعات الإلهية، شرعوا بعبادة العجل وطلبوا من موسى عليه السلام صنماً يعبدونه، ولم تكن أقدامهم قد جفت من ماء نهر النيل بعد، ولم تزل حادثة غرق فرعون أمام ناظرهم!.

و - العجب والغرور من الآفات التي تعقب النصر؛ غير أن جبهة

الحق، ما دامت تعتقد أن نصرها إنما تحقق بالمدد الغيبي الإلهي والعناية الربانية، فإنها لن تبتلى بالغرور والعجب، بل ستزداد خضوعاً لله تعالى وخشوعاً وتعبداً له، وهذا ما حُرِّم منه بنو إسرائيل على رغم المشاهدة الحضورية لحادثة عبور النهر وهلاك الظالمين.

٤- نزول التوراة (الألواح):

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾^(١)

أ- بعد هلاك فرعون وإزالة الموانع، هياً الله تعالى لبني إسرائيل أرضية للسعادة والرشد والكمال الدائم، بمنحهم نعمة جديدة (التوراة والألواح)، وهي عبارة عن ميثاق الله تعالى مع عباده المصطفين المؤمنين، وهي مبنية على أساسين: الهداية والنورانية.

ب- الظاهر أن التوراة نزلت على شكل ألواح مكتوبة، والقرآن يشير إليها بأنها بيان لكل شيء: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾^(٢).

ج - نزول التوراة على موسى عليه السلام كان في موضع واحد، وعلى فترة أربعين ليلة من الزمن، وهذا الأمر جعل اليهود في زمن

(١) سورة المائدة: ٤٤.

(٢) سورة الأعراف: ١٤٥.

الرسالة المحمدية يعترضون على الرسول ﷺ، فكيف ينزل القرآن على دفعات وبشكل تدريجي؟، ولماذا لا ينزل كما نزلت التوراة في مكان واحد ودفعة واحدة؟: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾^(١).

د - التوراة والألواح عبارة عن أحكام شريعة موسى ﷺ، والمبنى العملي لها، وشريعة الأنبياء الذين جاؤوا من بعده.
هـ - عندما شاهد بنو إسرائيل الألواح في يد موسى ﷺ، أظهروا عدم الرضا والشكر، بدل أن يفرحوا ويلتزموا بها عملياً في مسيرة الهداية الإلهية، فطلبوا من نبي الله موسى ﷺ أن يريهم الله تعالى جهرة، وأعلنوا أنهم لن يؤمنوا حتى يروا الإله، مثلما وقفوا بعد ذلك في وجه الأنبياء الذين دعوا إلى العمل بالتوراة، وقالوا لا طاقة لنا بذلك، فكذبوهم وقتلوهم.

و - اليهود لم يؤمنوا بالقرآن ولم يتعبدوا به، بل إنهم لم يطيعوا كتابهم المقدس المبعوث من السماء (التوراة) فعارضوه مراراً وتكراراً، وخالفوا تعاليمه: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢).

لقد عصوا وتمردوا على الدخول إلى أرض فلسطين، كذلك تمردوا

(١) سورة النساء: ١٥٢.

(٢) سورة البقرة: ٦٤.

على حكم التوراة بتعطيل الصيد يوم السبت، فلم يفعلوا بل أصروا على الصيد، كذلك الأمر بالنسبة إلى حكم زنا المحصنة، ولم يكتفوا بذلك، بل ذهبوا إلى تحريف التوراة: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾^(١).

٥- العضو العام والحياة ثانية :

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢).

أ- لقد ارتكب بنو إسرائيل ذنباً عظيماً بعبادتهم العجل، فاستحقوا بذلك عذاب الموت، لكن الله تعالى شملهم بلطفه وعنايته وعفا عنهم ومنحهم فرصة أخرى، لعلهم يرجعون إلى الحق ويشكرون هذه النعمة.

ب- في فترة غياب موسى ﷺ اتخذ اليهود العجل رباً فعبدوه، أما الأشخاص الذين رافقوا النبي ﷺ إلى جبل الطور فكانت خطيئتهم من نوع آخر، حيث اشترطوا لإيمانهم بموسى ﷺ وما نزل عليه أن يروا الله تعالى، فأخذتهم الصاعقة وهلكوا جميعاً، ثم أن الله تعالى أحياهم مجدداً، ومنحهم هذا اللطف والعناية الخاصة، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٣).

(١) سورة البقرة: ٥٩.

(٢) سورة البقرة: ٥٢.

(٣) سورة البقرة: ٥٦.

واللطيف والملفت للنظر في هاتين الآيتين (العضو والإحياء)، أن دليل العضو والإحياء مجدداً هو منح الفرصة من جديد على أمل أن يظهر بنو إسرائيل الشكر لله تعالى، فاللطف الإلهي والنعمة الجديدة الممنوحة كانت لإيجاد روحية التقدير والشكر في قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ج - العجيب أن هذه النعمة الممنوحة وهذه الفرصة الجديدة، بعد ضلال بني إسرائيل وهلاكهم، لم توجب التنبه، ولم تردعهم عن تكرار ما فعلوه، بل لجّوا وتمردوا وأظهروا عدم الشكر والامتنان مرة ثانية، لكن بصور وأشكال مختلفة. وأول هذا التمرد كان عدم دخولهم أرض فلسطين، والجهد ضد الحكام المستكبرين فيها: **﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾** ^(١).

د - إن روحية طلب الرفاهية والسعي لأجل تحقيقها، بالإضافة إلى العناد واللجاجة، كثيراً ما تُعمي الإنسان، حتى ولو مات على أثر ذنبه ثم بعث من جديد، فإنه سوف يطوي ذات المسير، ويعاود ما كان عليه في الماضي، ولن يتنبه من غفلته، وليس من كفران لنعمة أكبر من هذا الكفران! لا شك أن هكذا إنسان أو مجتمع يستحق الذلة الأبدية، والغضب واللعنة الإلهيتين، ولن تطأ قدمه

(١) سورة المائدة: ٢٤.

طريق السعادة أبداً: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاوُوا بِغَضَبٍ
مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ
بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(١).

٦- النعم المادية :

يقول تعالى: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن
طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٢).

أ- في الحياة الثانية لبني إسرائيل المشردين والمحتاجين
إلى مسائل كثيرة، هياً الله تعالى لهم الفرصة ثانية، ووضع
بين أيديهم ما يحتاجون إليه، فظللهم بالغمام وأنزل عليهم
الطعام ﴿المن والسلوى﴾، وأخرج لهم الماء العذب من اثني عشرة
عيناً يشربون منها: (وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنِي عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ
مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا
عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا
عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن
كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٣).

ب- إن التشرد والتهيه في الصحراء كان نتيجة أعمال اليهود
وتمردهم عن دخول الأرض المقدسة (أرض فلسطين)، على

(١) سورة البقرة: ٦١.

(٢) سورة البقرة: ٥٧.

(٣) سورة الأعراف: ١٦٠.

الرغم من ذلك، فقد مدهم الله تعالى بعونه وشملهم برحمته، حيث أنزل عليهم أفضل أنواع الرزق من المأكّل والمشرب.

ج - غير أن اليهود لم يظهروا الشكر حتى على هذه النعم المادية، وراحوا يتذرعون بثتى الذرائع، فطلبوا من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الخضار والحبوب من عدس وبصل وفوم وغير ذلك بدل المن والسلوى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾^(١).

د- عدم تقدير النعمة والشكر كان موجياً للقول لهم: (اهبطوا مصرأ فإن لكم ما سألتهم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبأؤوا بغضب من الله)^(٢)

٧- النجاة من المصاعب والأزمات الاجتماعية :

من العناية الإلهية والألطف الربانية التي شملت بني إسرائيل، نجاتهم من المشاكل الاجتماعية والأزمات الداخلية، بحيث كانت تهدد أمن المجتمع اليهودي الداخلي، وتضعه على شفير الهاوية، كل ذلك بفضل من الله تعالى، حيث كان يتدخل في المواقف الحرجة والمصاعب الشديدة، ويساعدهم وينقذهم من وباء الاختلافات والفساد الذي كان يحيط بمجتمعهم، ويرفع عنهم هذه الابتلاءات

(١) سورة البقرة: ٦١.

(٢) سورة البقرة: ٦١.

والمصائب، والنموذج الأكثر بروزاً في القرآن الكريم، قصة بقرة بني إسرائيل، وخلاصتها: أن شخصاً من بني إسرائيل قُتل خفية على يد شخص إسرائيلي آخر، فاختلف القبائل حول من هو القاتل؟ فذهبوا إلى موسى لحل مشكلتهم، طلب موسى ﷺ العون من الله عز وجل، فأمره تعالى أن يذبح بنو إسرائيل بقرة ويضربوا بقطعة من لحمها جسد القتيل، عندها سيحيا القتيل وسينطق باسم القاتل، لكنهم في البداية اتخذوا الأمر هزواً ومزاحاً، وظنوا أن موسى ﷺ يسخر منهم، لكنهم عندما شاهدوا حزم موسى ﷺ في المسألة، راحوا يختلقون المشاكل ويضعون العقد ويكثرون التساؤل.

في النهاية أوحى الله تعالى إلى موسى ﷺ، وأنبأه بصفات البقرة ولونها فوجدوها، فذبحوها، والقصة معروفة في القرآن الكريم في سورة البقرة:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبِحُوا بَقْرَةً قَالُوا اتَّخَذْنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ * وَإِذِ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا

وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّئُ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ .

٨- البشارة وذكر علامات الرسول الخاتم ﷺ :

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ (٢)

أ- من العناية الإلهية ببني إسرائيل اطلاعهم على المستقبل، وإخبارهم عن ظهور النبي الخاتم ﷺ الذي سيأتي بأكمل الأديان وأشملها على الإطلاق، وقد ذكرت أوصافه الشريفة وعلاماته في كتبهم بشكل دقيق وصریح لا لبس فيه، بحيث يمكنهم من التجهز والاستعداد لقدمه المبارك والإيمان به وبتعاليمه العظيمة، لكنهم للأسف حرّموا من هذا الخير الكبير.

ب- لقد كان اليهود في جزيرة العرب ينتظرون هذا الظهور لنبيّ الإسلام ﷺ، وكانوا يهتمون لذلك القوم النبوي ويبشرون به، حتى أنهم كانوا يتوعدون أعداءهم ويهددونهم بالرسول الموعود المنتظر، ولم تكن هجرتهم إلى يثرب إلا من أجل بلوغ هذا الهدف الذي كانوا يعدونه النعمة الإلهية الكبرى لأهل الكتاب، والأمل لمستقبلهم.

ج - كان يُنتظر من اليهود أن يكونوا أول من يلتحق بالإسلام،

(١) سورة البقرة: ٦٧-٦٨-٦٩-٧٠-٧١-٧٢-٧٣.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٧.

ويؤمنوا به، ويشكروا هذه النعمة بالدخول في الإيمان وحماية الدين الإسلامي والدفاع عنه، لأنهم كانوا ينتظرون هذه البعثة النبوية، وقد قرأوا ذلك في كتبهم، وعلموا أوصاف الرسول الجديد ﷺ بالاسم والكنية والصفات، غير أنهم في هذه المرة أيضا كفروا بالنعمة بإظهارهم العداوة والبغضاء لنبي الإسلام ﷺ، وامتلات قلوبهم بالحقد والضعينة، وراحوا يعملون الدسائس ويحيكون المؤامرات ضد المسلمين. لقد منعهم حبهم للدنيا وإتباعهم لأهوائهم من الانقياد للرسالة الجديدة والهداية بهديها.

الفصل الثالث:

التموضع الفكري والعقائدي لليهود

إن مواقف اليهود على الصعيد الفكري والعقائدي طوال التاريخ يعدّ من المباحث المهمة، بحيث نرى القرآن الكريم يتعرض إلى هذه المواقف وينتقدها. وما نراه من العذاب والابتلاءات واللوم لبني إسرائيل إنما يرجع إلى هذه الإنحرافات الفكرية والعقائدية والصفات الباطنية الخبيثة التي كانوا يختزنونها في أنفسهم. لأن منشأ أكثر الإنحرافات العملية عند اليهود أساسها إنحرافات فكرية وعلمية، وزلّات في دائرة الفكر والمواقف الفكرية، بحيث نرى أن بعض هذه المواقف والرؤى قد نشأت من الميول والتعلق بالأهواء النفسية عند بني إسرائيل.

إن العناية بالآيات الشريفة والتوجه إلى ما بيّنه القرآن الكريم في باب التموضع الفكري والمواقف الاعتقادية لدى اليهود، وبالتالي فضح انحرافاتهم في هذا المضمار، يجعلنا أصحاب بصيرة ويعرّفنا

كيف نتعامل معهم في إطار معرفة اليهود وتعليل أفعالهم.

وما يبينه هذا الفصل حول بني إسرائيل بالاستناد إلى آيات القرآن الكريم، يعود بعضه إلى مرحلة بني إسرائيل في زمن تشكّل الدين اليهودي ونبوة موسى عليه السلام، ثم الأنبياء من بعده، والبعض الآخر يتعلق بأفكار اليهود في زمن الرسالة المحمّدية ﷺ في فترة طلوع شمس الإسلام، وما أظهره في مقابل العقائد الإسلامية.

١- الحسيّة (لا يؤمنون إلا بما تدركه الحواس)

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(١)

رؤية الجهر: رؤية الله بحاسة العين علانيةً وعياناً وجهاراً وبصورة علنية وواضحة متشخصاً أمام أبصارنا كما تدرك جميع الحواس الأشياء من قريب.

الصاعقة: يذكر المرحوم الشيخ الطبرسي للصاعقة ثلاثة معان:

١. نار تسقط من السماء.

٢. الموت.

٣. العذاب.

المعنى: أي لن نصدقك في قولك أنك نبي مبعوث (حتى نرى الله

جهره) أي علانية فيخبرنا بأنك نبي مبعوث^(٢)

(١) سورة البقرة: ٥٥.

(٢) مجمع البيان، للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المعرفة، بيروت ج١-٢ ص ٢٤٠.

أ- بالتوجه إلى الآية ١٥٥ من سورة الأعراف، يظهر أن الذين طلبوا من موسى أن يروا الله جهرة هم الأشخاص الذين اختارهم موسى ﷺ لمرافقته إلى الميقات في جبل الطور، وكانوا سبعين رجلاً، فلما نزلت الألواح على موسى ﷺ وعرضها عليهم قالوا: (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة).

ب- عندما يصدر من الخواص والأصحاب هذا الفعل المذموم، ولا يقبلون الإيمان إلا مشروطاً برؤية الله جهرة، فماذا يُنتظر من العوام في غيبة موسى ﷺ غير الانحراف والتوجه إلى عبادة العجل! إن منشأ هذا الانحراف هو الحسية المادية التي تغلبت على نفوس بني إسرائيل. والسامري استفاد من هذا الفكر المادي الحسي والميل إلى معبود محسوس، فصنع لهم عجلاً ليعبدوه ويسجدوا له^(١): ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٍ﴾^(٢).

ج- مثال آخر عن الحسية المادية عند بني إسرائيل؛ طلب اليهود من موسى ﷺ أن يجعل لهم إلهاً كما لغيرهم إله ليعبدوه، وذلك عندما عبروا نهر النيل ونجّاهم الله تعالى من قبضة فرعون، فمروا على جماعة يعبدون أصناماً لهم بخضوع

(١) لقد أشار القرآن الكريم إلى اتخاذ العجل معبوداً من قبل بني إسرائيل في سبعة مواقع، سورة البقرة: ٥١-٥٤-٩٢-٩٢، وسورة النساء: ١٥٢، وسورة الأعراف: ١٤٨، وسورة طه: ٨٨.

(٢) سورة الأعراف: ١٤٨.

وخشوع، فلما رأى بنو إسرائيل القوم يعبدون أصنامهم، قالوا لموسى: نريد إلهاً كما لهؤلاء: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾^(١).

د - إن الميول إلى المادية والتعلق بالمحسوسات يصبح سبباً في عدم تأثير الاستدلال والمنطق والمعجزات والآيات الإلهية في الأرواح والنفوس، وبالتالي عدم تنبّه الأفكار والقلوب المختومة.

هـ - إن الغفلة عن الله تعالى وآياته الواضحات، واللجاجة والعناد في المواضيع الخاطئة نتیجته استحقاق العذاب ونزول الصاعقة كي يتنبّه القوم، والحقيقة أن الصاعقة التي تسبب اليقظة والتنبّه تكون نعمة وليست نقمة.

و - قد يتساءل المرء أن موسى عليه السلام قد طلب من الله تعالى مثل هذا الطلب، حيث قال: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾^(٢).

إذن، لماذا كان جواب اليهود في طلبهم (رؤية الله جهرة) التوبيخ والصاعقة، في حين أن جواب الله لموسى عليه السلام كان بالنفي والتجلي للجبل، ولم يتعرض موسى عليه السلام لمثل ما تعرض قومهم؟ إضافة إلى ذلك، أنه لم يكن من المنتظر أن يصدر هكذا

(١) سورة الأعراف: ١٢٨.

(٢) سورة الأعراف: ١٤٢.

طلب من رسول ومعصوم.

ما يستفاد من الروايات أن نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يعلم علم اليقين أن الله تعالى لا يمكن رؤيته بالعين، وأن ما طلبه موسى بلسانه، كان في حقيقة الأمر على لسان قومه وبطلب منهم. إذن، فموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ طلب من الله عز وجل ما أَرَادَهُ قَوْمَهُ، لأنه عندما نزلت الصاعقة وأهلكت القوم، ثم أحياهم الله سبحانه ثانية، توجهوا بالخطاب إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقالوا له: لو أنك طلبت أنت من الله ذلك لكان الجواب مثبتاً ولأرانا ننظر إليه جهرة، لأنك أنت نبيّه المرسل ولن يرفض طلبك، فخطأهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لكنهم أصرّوا، فأراد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يثبت لهم أنهم مخطئون، عندها طلب من الله سبحانه أن يراه، فجاء الجواب بالتجلي للجبل، ولم تكن توبة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ توبة مذنب بل التوبة من اللفظ الذي جرى على لسانه بطلب من قومه وإصرار منهم^(١).

٢- نسبة العجز إلى الله تعالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا﴾^(٢).

المعنى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ) أي مقبوضة عن العطاء ممسكة عن الرزق فتسبوه إلى البخل...

(١) راجع تفسير الميزان، مصدر سابق، ج٨، ص ٢٦٢-٢٦٨ (بحث روائي حول الرؤية والمشاهدة القلبية).

(٢) سورة المائدة: ٦٤.

﴿غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي غلت أيديهم في جهنم... أو أن يكون القول خرج مخرج الدعاء... فيكون دعاء عليهم... أو جعلوا بخلاء وألزموا البخل فهم أبخل قوم فلا يلقى يهودي أبداً غير لئيم بخيل...
﴿وَلَعَنُوا بِمَا قَالُوا﴾ أي أبعدوا من رحمة الله تعالى^(١)

شأن النزول: فيه أقوال عدة أهمها ما يورده صاحب تفسير الميزان، «وإما أنهم تفوهوا بذلك لما سمعوا أمثال قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ «البقرة: ٢٤٥» وقوله تعالى: ﴿وَأَقْرِضُوا الله قَرْضاً حَسَناً﴾ «المزمل: ٢٠» فقالوا: يد الله مغلولة لا يقدر على تحصيل ما ينفق في حوائجه لترويج دينه وإحياء دعوته. وقد قالوا ذلك سخرياً واستهزاء على ما يظهر من بعض آخر مما ورد في أسباب النزول، وهذا الوجه أقرب إلى النظر^(٢)

أ- ليس ببعيد ولا عجيب من قوم ينسبون ما لا يجوز لله تعالى ويوردون في قصصهم أنه تعالى غلب على يد يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أو آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، أن ينسبوا الكفر لله عز وجل، ويصفونه بأنه مغلول اليد وضعيف وعاجز، وهذا نوع من الفكر المحدود والمادي الحسي عند اليهود.

ب- إذا كان هذا الإدعاء والمطالب الأخرى التي ذكرت قد صدرت عن مجموعة من اليهود وليس كل اليهود، لكن القرآن

(١) مجمع البيان، مصدر سابق، ج ٢-٤، ص ٢٣٩-٢٤٠.

(٢) تفسير الميزان، مصدر سابق، ج ٦، ص ٢٢.

الكريم ينسبها إلى جميع بني إسرائيل، لأن هذه الادعاءات والمقولات المنحرفة مقبولة عند البقية من اليهود، ولم يعترض عليها أحد منهم.

ج - إذا أردنا أن نفهم المتون الدينية والآيات والمفاهيم القرآنية علينا أن ندرك مدلول الكلام ومفهومه وعمق المطالب الإلهية بشكل صحيح وعميق، لا أن تحمل على الظاهر والمعنى السطحي. فإذا طلب الله عز وجل القرض من عباده ونسبه إلى نفسه، فهو في حقيقة الأمر لأجل عباده، وليس بمعنى أنه عاجز عن رزقهم وتأمين حاجاتهم، إنما يريد الله تعالى من هذا القرض أن يسمو الإنسان ويتعالى في التدرج الكمالي، ولا يعني أيضاً رفع حاجة الإنسان بإقراض الله تعالى وأن الله سبحانه والإنسان في مقابل بعضهما، لكن يعني أن التقرب إلى الله عز وجل يكون عن طريق الأخذ بيد الفقراء والمحتاجين.

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾^(١).

د - بعض الناس يقومون بإلقاء ذنوبهم على الله تعالى، فيقولون أن حاجة المحتاجين ناتجة عن ضعف الله سبحانه، وذلك ليفرّوا من عبء التكليف الإلهي والإنفاق مما رزقهم مولاهم، وتبرير تمردهم على الأحكام وعصيانها.

(١) سورة آل عمران: ٩٢.

هـ - إن نسبة العجز إلى الله تعالى هي نتيجة لأمرين: الأول: عدم معرفة الله سبحانه وقدرته المطلقة، الثاني: العناد والخبث الباطني والسخرية من الآخرين، فالأول لا يمكن نسبته إلى علماء اليهود (لكنه ليس بعيداً عن عوامهم)، لأن ما تعلموه على يد أنبيائهم السابقين لا يتوافق مع ذلك. من هنا لا يمكن أن نعدّ مواقف كبرائهم وعلماؤهم من باب الجهل وعدم المعرفة أو الشبهة العملية، بل يمكن القول أن نسبة العجز إلى الله تعالى ناشئة من روحية الحقد والضغينة والعناد، وبث الفتنة والتفرقة في مقابل الإسلام والمسلمين، والقرآن الكريم يعقب في نفس الآية موضع البحث فيقول: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾^(١) ثم يقول في ذيل الآية الشريفة: ﴿وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢).

و - نتيجة هذا العناد والفساد والطغيان واللعب بأيات الله سبحانه والسخرية منها تكون كالتالي:

أولاً: العداوة والبغضاء بين أفراد اليهود إلى يوم القيامة: ﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^(٣).

(١) سورة المائدة: ٦٤.

(٢) نفس الآية.

(٣) نفس الآية.

ثانياً: العجز عن إحداث الفتن وإشعال نار الحرب: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾^(١).

ز - يستفاد من الآية سابقة الذكر أن من دأب لليهود إحداث الفتن والفساد في الأرض وإشعال نار الحرب، وهذا الأمر سوف يرافقهم أبداً.

٣- نسبة الابن إلى الله تعالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٢).

عزير في الأصل (عزراء)، لكن عندما عرب الاسم صار عزيراً مثل كثير من الأسماء الأعجمية التي تغيرت عند تعريبها؛ (يسوع أصبح عيسى، يوحنا أصبح يحيى)، وعزير كما سبق هو أهم شخصية عند اليهود بعد موسى ﷺ، لأنه توسط لليهود لدى قوروش وأعادهم من الأسر من بابل إلى أرض فلسطين، وبذلك أعاد إليهم الحياة مجدداً، ثم بدأ بكتابة التوراة المندثرة، لذلك حظيت هذه الشخصية باحترام خاص في المجتمع اليهودي، بحيث وصل الأمر بهم أن يدّعوه (ابن الله) يضاؤون: يشابهون به.

يؤفكون: يصرفون عن اعتقادهم عن الحق إلى الباطل:

أ - ورد في دعوة اليهود (عزير ابن الله) احتمالان: الأول: أن

(١) نفس الآية.

(٢) سورة التوبة: ٣٠.

اليهود يعدّون عزيزاً ابناً لله سبحانه، أي أنه من جنس الآلهة والجوهر الربوبي، كما يدعي المسيحيون بالنسبة إلى عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، بمعنى أنه حقيقة ابن الله عزّ وجلّ.

والثاني: أنّ المسألة من باب التعظيم والاحترام الكبير، فنسبوه إلى ذلك تشريفاً له، كما جاء في ادّعاءاتهم الأخرى في القرآن الكريم أنهم أبناء الله وأحبّاءه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾^(١)

لكن يبدو أن الاحتمال الأول أقوى، لأن نسب عزيز إلى الله سبحانه عند اليهود جاء في آية واحدة مع نسب المسيح إلى الله عزّ وجلّ أيضاً عند النصارى، وقد ساوى الله تعالى بين الصورتين في آية واحدة، هذا بالإضافة إلى الذمّ والتقبيح الإلهي بحقهم، فإنه يناسب الاحتمال الأول أكثر^(٢).

ب- يجب إظهار ردة الفعل المناسبة وبشكل عملي في مقابل الإنحرافات والأخطاء التي تتعلق بالمسائل العقائدية، وإلاّ يكون المرء شريكاً في هذه الإنحرافات. فعندما تسكت أكثرية اليهود في مقابل هذا الانحراف والادعاء (ابن الله) وهو شرك واضح، فهذا يعني أنهم راضون بذلك وهم شركاء فيه، لذلك فإن هذا الانحراف العقائدي سوف ينسب إلى جميع اليهود بدون استثناء.

(١) سورة المائدة: ١٨.

(٢) العلامة الطباطبائي يؤيد الإحتمال الثاني، راجع تفسير الميزان، ج ٩، ص ٢٤٤.

ج- إن جعل الولد لله تعالى لا يعدّ أكثر من لقلقة لسان، وليس له حقيقة واقعية في الخارج، وهو تقليد أعمى لكلام هراء ليس له واقعية ولا تحقق، ويصدر عن كلام أعمى من غير تأمل ولا تبصّر، لأن مدرسة الأنبياء الإلهية ومن جملتها ما جاء به عيسى وموسى عليهما السلام، ليس فيها أي ريح أو لون للشرك والانحراف، ولا لأي شرك وانحراف سواه.

د- ينقل السيد الطباطبائي قدس سره في تفسير الميزان: «وقد اعتنى جمع من محققي هذا العصر بتطبيق ما تضمنه كتب القوم، أعني العهدين: (القديم والجديد) على ما حصل من مذاهب البوذيين والبرهمنيين فوجدوا معارف العهدين منطبقة على ذلك حدو النعل بالنعل حتى كثيراً من القصص والحكايات الموجودة في الأناجيل فلم يبق ذلك ريباً لأي باحث في أصالة قوله تعالى: (يضاهئون) الآية في هذا الباب»^(١).

هـ- مهما حلّق الإنسان في العظمة وكبر الشخصية، فإنه لا يخرج من مرتبة الإمكان والعبودية، ولن يصل إلى مرتبة الربوبية. في الإسلام يعدّ الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله أكرم وأشرف

(١) تفسير الميزان، مصدر سابق، ج٩، ص ٢٤٤، نقلا عن

وأعظم إنسان على وجه التاريخ وفي الوجود، وأعظم نبي وولي وأفضلهم على الإطلاق، ولقد كانت أعلى وأرقى صفة له حتى قبل بعثته الشريفة مقام العبودية لله تعالى. بمعنى أنه لا يجب الإفراط ولا التفريط في التعظيم والتكريم، وأن لا يجعل الإنسان المخلوق والممكن الوجود في مرتبة واجب الوجود والخالق. فأين هذه الثقافة وهذه التعاليم من ثقافة اليهود وغيرهم، ممن يجعلون كبراءهم ورهبانهم أبناء الله تعالى عما يصفون؟!

و- (قاتلهم الله) أي لعنهم وغضب عليهم، فهم لا يستحقون الحياة ولا رحمة الله تعالى.

٤- الشرك في الربوبية والتدبير:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١).

أ- من أهم المظاهر التوحيدية التي اعتنى بها القرآن الكريم التوحيد الربوبي، ونفي ما دونه من أرباب، وحصر التدبير والإدارة الكونية ونظام الخلق بيد الله وحده. والتوحيد ليس ذهنياً صرفاً أو فكرياً محضاً، أي الاعتقاد بالذات الإلهية الواحدة وحسب، بل التوحيد يتجلى في كل نظام الخلق وحركة

(١) سورة التوبة: ٣١.

الخليقة، وإدارة العالم، فإن رأى أحد أي دور استقلالي لذاته أو لغيره من دون الله تعالى، في التدبير والانتظام في الوجود والخلق وإدارة العالم، أو وهب نفسه أو جسده لعبودية غير الله تعالى وإطاعته فقد أشرك.

ب - من آثار التوحيد وتجلياته، حصر الحاكمية بالله تعالى، فثقافة التوحيد في القرآن الكريم تبين بوضوح أن لا إرادة ولا ولاية لأحد فوق إرادة وولاية الآخرين، ولا يجوز لأحد أو لطبقة اجتماعية أن تجعل نفسها ولا غيرها أرباباً للناس. فالطاعة لله تعالى وحده، حتى طاعة الرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام ليست مستقلة، بل تدخل في طاعة الله سبحانه وترجع إليها، بمعنى أن الأنبياء والرسل وأئمة الدين مطاعون من حيث أنهم مبلغون لأحكام الدين وتعاليم السماء، لذلك طاعتهم من طاعة الله تعالى، وليس لهم استقلالية في الحاكمية والسلطة والولاية.

ج - إن تقديس اليهود والنصارى لأخبارهم ورهبانهم وجعلهم أرباباً، في الحقيقة هو شرك بالله سبحانه، لقد خرجوا من عبوديته تعالى بطاعة هؤلاء الرهبان المطلقة، وقد ارتكبوا بذلك انحرافاً وشركاً في التوحيد العبادي، إضافة إلى التوحيد الربوبي، لذلك يعرّف القرآن الكريم طاعتهم من

دونه جلّ وعلا بالشرك. ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾^(١).

د- إن الاعتقاد المنحرف عند اليهود، فيما يرتبط بالأنبياء وكبار العلماء والرهبان، هو من صنع البعض منهم من المغرضين أو الحمقى والجاهلين، وليس له علاقة بأصل الدين السماوي. ه- إن دعوة كبار اليهود والرهبان الناس إلى أنفسهم بدلاً من الله تعالى، إنما يجعلون أنفسهم أرباباً للناس وشركاء الباري عز وجل. وهذا الفصل ليس له مكان في الفكر ولا النظام التوحيديين.

و- إن قطب الرحى في الدين هو الدعوة إلى الطاعة والحركة والعبودية المطلقة لله سبحانه الواحد الأحد، فهو محور كل الحركة والنظام، ومبدأ كل العالم والخلقة.

ز- إن تقديس عوام اليهود الزائد لعظمائهم، بالإضافة إلى الابتلاء بالشرك، موجب للشعور بالعظمة والغرور والعجب وحب الدنيا، في مقابل دعوة الحق ورسالة النبي الأكرم ﷺ. إن حبهم للدنيا وعنادهم أعمى قلوبهم وبصائرهم، فلم يتمكنوا من ترك الدنيا وعدم التوجه إليها، لذلك كتموا ما كانوا يعلمونه من الحق، وجهدوا في استمرار ارتباط الناس بشخصهم، حتى لا ينقطعوا عنهم، فتضرر مصالحهم.

(١) سورة الأنعام: ١٢١.

٥ - الاستعلاء والعنصرية :

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلِ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾^(١).

شأن النزول: « قيل أن اليهود قالوا نحن في القرب من الله سبحانه بمنزلة الابن من أبيه... وقيل أن جماعة من اليهود منهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد وزيد بن التابوه وغيرهم قالوا لنبي الله ﷺ حين حذرهم بنقمة الله وعقوباته لا تخوفنا فإننا أبناء الله وأحباؤه فإن غضب علينا فإنما يغضب كغضب الرجل على ولده يعني أنه يزول عن قريب^(٢).. أما بقية اليهود فقد قبلوا هذا المنطق واستحسنوه، وغدا يشكل ثقافة في الفكر اليهودي، لذلك نُسبَ هذا القول إلى جميع بني إسرائيل لأنهم قبلوا به ولم يعترض منهم أحد.

أ- من خصائص اليهود وسمياتهم البارزة، الروحية العنصرية والاستعلائية، بحيث يعدون أنفسهم فوق سائر الأمم والشعوب من جهة العرق البشري، وهذا واضح في ميولهم الفكرية والثقافية، واعتقادهم بهذه المسألة لا لبس فيه، كذلك نشاهد هذا النمط من العلو والعنصرية في سلوكهم العملي ومواقفهم الاجتماعية وعلاقاتهم بالمجتمعات والشعوب

(١) سورة المائدة: ١٨.

(٢) مجمع البيان، مصدر سابق، ج٢-٤ ص: ٢٧٢.

الأخرى بشكل جلي، وهم يعبرون عنه في جميع سلوكياتهم، وهناك الكثير من الأمثلة في تاريخهم الفكري والعملية. من هذه الأمثلة قولهم: أن لهم مكانة خاصة عند الله تعالى كما للولد عند أبيه، أما سائر الناس فهم غرباء عن الله تعالى.

ب- الفكر اليهودي شبيه بفكر أبناء الملوك والسلطين، فهم يعتقدون أن العلاقات الإنسانية والروابط بين البشر هي القاعدة التي تحكم في القواعد والتنظيم الإلهي، أي أن الحكم عند الله شبيه بحكم الملوك والسلطين، فأبناء الملوك معفون من التكليف والمهمات التي يكلف بها البشر العاديون عادة، وبالتالي فهم معفون من العقاب والحساب، لأنهم أبناء الله وأحبائه وشعبه المختار، وتكليفهم فقط التمتع واللذة والمأكول والمشرب، فليس لأحد أن يسألهم عن شيء.

ج- إن منشأ جميع الجنايات والتجاوزات والتعديات اليهودية عبر التاريخ، وفي يومنا الحاضر (ما نراه من إرتكابات الصهاينة) هو تلك الروحية الاستعلائية العنصرية عندهم.

د- ليس في التعاليم السماوية من أمة أو شعب له امتيازات خاصة أو فضائل ذاتية، ولم يخلق الله تعالى إنساناً أو طبقة من الناس أرباباً أو عبيداً لغيرهم، فالجميع متساوون في الحقوق، ويتمتعون بمنزلة واحدة في الأصل، وجميع الفضائل والامتيازات التي يكسبونها إنما تكون اكتسابية وليست ذاتية،

وهذا ما يرتبط بالقيم. لذلك نرى أن القرآن الكريم يتحدث عن اكتساب ثلاثة قيم سامية هي ملاك الفضيلة والتفضيل:

الأولى: الإيمان والتقوى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (١)

و﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (٢).

الثانية: العلم: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣)

كذلك الآية السابقة: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم

درجات﴾.

الثالثة: الجهاد والعمل الصالح والسعاية في الخير: ﴿لَا يَسْتَوِي

الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ

دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا

عَظِيمًا﴾ (٤).

إن اكتساب هذه القيم الثلاثة لا يوجب الاستعلاء والعنصرية

والتفوق العرقي لجماعة ما على الشعوب والأمم الأخرى، ولا يمنحهم

الحق في ظلم الآخرين والتعدي على حقوقهم، بل هو منشأ لصلاح

المجتمع وخدمة الآخرين.

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) سورة المجادلة: ١١.

(٣) سورة الزمر: ٩.

(٤) سورة النساء: ٩٥.

هـ - جواب القرآن الكريم لليهود في مقابل تلك الروحية العنصرية القبيحة، والإدعاء بتمتعهم بموقع خاص لدى الله تعالى حاسم وقاطع، إن كنتم كما تدعون فلماذا يعذبكم الله سبحانه وتعالى في الدنيا بذنوبكم، ويعاقبكم بأشد العذاب، ولماذا نزلت عليكم الصاعقة (كذلك الأمر في الآخرة)؟! ٥!

و - ثم إنكم بشر كسائر الخلق، وليس لكم أن تتسلطوا على الآخرين، ولا تملكون آية خصوصية في النظام الخلقي الإلهي، فالحكم المطلق لله تعالى، والله سبحانه لم يجعل أحداً مميّزاً أو مقرباً في أصل الخلقة والتكوين، بل الجميع متساوون في هذا الأمر، لكن الله تعالى يقول: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (١)

٦- نسبة الفقر إلى الله تعالى:

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٢).

شأن النزول: لما نزلت (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً) قالت اليهود إن الله فقير يستقرض منا ونحن أغنياء وقاله حي بن أخطب عن الحسن ومجاهد. وقيل كتب النبي ﷺ

(١) سورة المائدة: ١٨.

(٢) سورة آل عمران: ١٨١.

مع أبي بكر إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً فدخل أبو بكر بيت مدرستهم فوجد ناساً كثيراً منهم اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فتحاص بن عازورا فدعاهم إلى الإسلام والصلاة والزكاة فقال له فتحاص إن كان ما تقول حقاً فإن الله إذا لفقير ونحن أغنياء ولو كان غنياً لما استقرضنا أموالنا فغضب أبو بكر وضرب وجهه فأنزل الله هذه الآية، عن عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحاق (١).

أ- إن الله تعالى محيط بجميع أعمال الإنسان، يعلم السر وما أخفى، يسمع ويرى وهو على كل شيء شهيد، هذا، إضافة إلى الشهود من الخارج والداخل، ممن يشهدون على جميع أعمال الإنسان وأحواله ويكتبونها، من الملائكة حتى الجوارح.

ب- الاعتقاد بأن الله تعالى يرى كل شيء ويسمع كل قول، ما ظهر وما بطن، ما أعلن وما أخفى، والعمل على هذا الأساس، سبب في عدم دخول الإنسان في المعصية وارتكاب الذنوب والإقدام على الطغيان والتمرد، وباعث على الامتناع العملي في محضره سبحانه، لذلك يؤكد القرآن دائماً على الإحاطة الإلهية الكلية، وعلى رؤيته وسمعه للفعل والقول: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (٢)

(١) مجمع البيان، مصدر سابق، ج ١-٢، ص ٨٩٨.

(٢) سورة العلق: ١٤.

ج - لقد فعل الغرور والعداوة بروح اليهود فعلهما، بحيث اتخذوا آيات الله هزواً وسخرية، في حال أنهم كانوا يعرفون معناها حقيقة، لكنهم تغافلوا عنها وواجهوا الله تعالى بما لا يليق به سبحانه.

د - إن من ينسب الأكاذيب والافتراءات إلى الله تعالى لا يتورع عن نسبها إلى الآخرين، وبالتالي، لا يجب على المسلمين والقادة الروحانيين أن يتفاجئوا أو ينزعجوا من الافتراءات المنسوبة إليهم، لأن اليهود يفترون حتى على الرب سبحانه وتعالى، لكن الله عز وجل يرى أفعالهم ويسمع كلامهم ويكتب ما قدموا وأخروا ويفضحهم على الملأ.

هـ - نسبة الفقر إلى الله تعالى قبيحة إلى درجة قرنها مع قتل الأنبياء والنتيجة، طبعاً، العذاب والحريق.

٧- الكفر عناداً:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(١).

شأن النزول: في تفسير العياشي عن الصادق عليه السلام في نزول هذه الآية قال عليه السلام: «كانت اليهود تجد في كتبهم أن مهاجر محمد

(١) سورة البقرة: ٨٩.

رسول الله ﷺ ما بين عير وأحد فخرجوا يطلبون الموضع، فمروا بجبل يقال له حداد فقالوا حداد وأحد سواء، فتفرقوا عنده، فنزل بعضهم بتيما، وبعضهم بفدك، وبعضهم بخيبر، فاشتاق الذين بتيما إلى بعض إخوانهم، فمر بهم إعرابي من قيس فتكأروا منه، وقال لهم أمر بكم ما بين عير وأحد، فقالوا له: إذا مررت بهما فأذنا لهما، فلما توسط بهم أرض المدينة، قال: ذلك عير وهذا أحد فنزلوا عن ظهر إبله وقالوا له: قد أصبنا بغيتنا... وكتبوا إلى إخوانهم الذين بفدك وخيبر أنا قد أصبنا الموضع فهلما إلينا فكتبوا إليهم أنا قد استقرت بنا الدار واتخذنا بها الأموال وما اقربنا منكم فإذا كان ذلك أسرعنا إليكم واتخذوا بأرض المدينة أموالاً فلما كثرت أموالهم بلغ ذلك تبع فغزاهم فتحصنوا منه فحاصرهم ثم آمنهم فنزلوا عليه فقال لهم: إني قد استطبت بلادكم ولا أراني إلا مقيماً فيكم، فقالوا: ليس ذلك لك إنها مهاجر نبي، وليس ذلك لأحد حتى يكون ذلك، فقال لهم فإني مخلف فيكم من أسرتي من إذا كان ذلك ساعده ونصره فخلف حين تراهم: الأوس والخزرج، فلما كثروا بها كانوا يتناولون أموال اليهود، فكانت اليهود تقول لهم أما لو بعث محمد ﷺ لنخرجنكم من ديارنا وأموالنا فلما بعث الله محمد ﷺ آمنت به الأنصار وكفرت به اليهود وهو قوله: «وكانوا من قبل

يستفتحون على الذين كفروا...»^(١)

أ - إعراض اليهود عن الإسلام ومخالفتهم الرسول ﷺ والمسلمين لم يكن تردداً ولا شكاً منهم في أحقية الإسلام والقرآن، بل كان عناداً منهم وحفاظاً على مواقعهم المادية، مع علمهم يقيناً بصدقية الرسول الأكرم ﷺ ورسالته، فلم يكونوا مستعدين للتسليم والقبول بالرسالة المحمدية ﷺ، وهذا أسوأ أنواع الكفر وأشد خطراً على حالة الإنسان وعلى الآخرين أيضاً، وهذا النوع من الكفر، لا شك، يستحق اللعنة والطرده من اللطف الإلهي والحرمان من النعم.

ب - حب الدنيا وعبادتها، والتعلق بالماديات إلى درجة الهوس، من أهم الموانع التي تعيق الهداية وقبول الحق والتسليم في مقابل العدالة والحكم الإلهي. فاليهود انخرطوا في صناعة الدسائس وخلق المؤامرات الشيطانية بالشهرة العملية (ولم تكن شبهة علمية)، وهذا الأمر أشد خطراً من عدم اتباع الحق بسبب الجهل وعدم المعرفة.

ج - لقد كان اليهود، خصوصاً، يهود المدينة ينتظرون بعثة النبي الأكرم ﷺ، وكانوا يرون أن مستقبلهم ومصيرهم سيتعين في ضوء هذه البعثة، غير أنهم لم يستقيموا أثناء الانتظار

(١) تفسير الميزان، مصدر سابق، ج ١ - ص ٢٢٢ - ٢٢٤.

وانحرفوا عن السبيل القويم وأخذتهم الدنيا بتعلقاتها، وعندما ظهر النبي ﷺ الموعود، وشعروا أن الإيمان به والتسليم لرسالته يمكن أن يكون له ثمن، فيدفعون من أموالهم وأرواحهم أو من موقعهم في سبيل ذلك، وقضوا في وجهه وأظهروا العداوة والبغضاء له ولأصحابه. إن شاء الله تعالى لا نكون نحن المنتظرون للمصلح الكبير المهدي الموعود ﷺ أمثال اليهود، نطرح الشعارات فقط، بل نضديه بكل ما نملك في سبيله سبحانه والدفاع عنه ﷺ وعن دولته الشريفة، ونكون من المستشهادين بين يديه ﷺ، فمن المهم أن نكون ثوريين لكن الأهم الثبات على الثورة.

د- لقد أظهر اليهود وبشكل واضح كفرهم وعنادهم وحقدهم في ميادين مختلفة، مع علمهم بأحقية الإسلام ويقينهم بصدق الرسول ﷺ، وصدق رسالته، وقد ذكر القرآن الكريم في موارد عديدة أمثلة على ذلك:

١. ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١)
٢. ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (٢)

(١) سورة البقرة: ١٤٦.

(٢) سورة المائدة: ١٥.

٣. ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾^(١)

٤. ﴿وَلَكِنَّ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾^(٢)

٥. ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾^(٣)

٦. ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهَدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قِبَلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤)

هذا، بالإضافة إلى آيات أخرى كثيرة تتحدث عن طلبات اليهود الصبانية وذرائعهم حتى لا يؤمنوا بالرسول ﷺ .

٨- وحدة الفكر مع المشركين:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ مَنِ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾^(٥)
الجبت: كل ما يعبد من دون الله سبحانه^(٦) .

(١) سورة البقرة: ٧٩ .

(٢) سورة البقرة: ١٤٥ .

(٣) سورة البقرة: ١٤٤ .

(٤) سورة آل عمران: ١٨٣ .

(٥) سورة النساء: ٥١ .

(٦) الميزان، مصدر سابق، ج، ع، ص ٣٧٤ .

والطاغوت: هو كل معبود من دون الله تعالى^(١) وقد ذكرت كلمة

الطاغوت ثمانية مرات في مقابل ذكر الله تعالى.

شأن النزول: في سبب نزول هذه الآية روايات على وجوه مختلفة

لكن كما يقول السيد الطباطبائي: «أن الجميع تشتبك في

أصل القصة وهو أن بعضاً من اليهود حكّموا لقريش على

النبي ﷺ، بأن دينهم خير من دينه»^(٢).

ويذكر صاحب مجمع البيان ما مضمونه أن كعب بن الأشرف خرج

مع سبعين رجلاً من اليهود إلى مكة ليتحالفوا مع قريش ضد الرسول

ﷺ، ثم اقترح عليهم أن يختاروا ثلاثين نفرًا من قريش ويختار هو

ثلاثين من اليهود، ثم يأتوا إلى الكعبة فيضعون أكبادهم بالكعبة

ويتعاهدون على قتال النبي ﷺ، ففعلوا ذلك، عندها سأل أبو سفيان

كعب بن الأشرف وقد كان يقرأ ويكتب، وهو من أهل الكتاب، أينما أهدى

نحن أم محمد؟ فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلاً مما عليه محمد

ﷺ. فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾^(٣)

أ - عداوة اليهود للمسلمين هو السبب في ترجيح اليهود

المشركين على المسلمين والطاغوت على الله تعالى، كذلك

سبب لسجودهم للجبت.

(١) الميزان، مصدر سابق، ج، ٤، ص ٣٧٥.

(٢) الميزان، مصدر سابق، ج، ٤، ص ٣٨٣.

(٣) راجع: مجمع البيان، مصدر سابق، ج، ٢، ص ٩٢.

ب - إن أعداء الإسلام يتحدون ضد المسلمين مع وجود الاختلافات الكبيرة فيما بينهم، لكن الله سبحانه يشئت هذه الوحدة ويجعلهم فرقاً، لأنهم يتحدون في طريق الانحراف والهدف الخيث. وقد رأينا مثيل هذا الإتحاد ضد الثورة الإسلامية في إيران في مراحل مختلفة، وقد تجلى في زمن الحرب المفروضة من قبل صدام ضد الجمهورية الإسلامية، حيث اتحد الشرق والغرب، كذلك، (نشاهد اليوم توحيد العالم المستكبر شرقه وغربه مع اليهود الصهاينة ضد المقاومة الإسلامية وحزب الله في لبنان)، وهذا يتطلب من المسلمين أن يتوحدوا ولا تأخذهم الخلافات فيهنوا في مقابل الأعداء.

ج - وحدة اليهود مع المشركين تجلت في صدر الإسلام، في حين أن القرآن الكريم والإسلام الحنيف كان يدعو اليهود والنصارى إلى الوحدة حول محور التوحيد والإيمان بالله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(١).

د - الكفار والمشركون يستفيدون دائماً من الموحددين (طلاب

(١) سورة آل عمران: ٦٤.

الدنيا والمتعلقين بها)، كما حدث مع اليهود الذين كانوا يسجدون لأصنام المشركين ويرجّحون دين المشركين وعاداتهم على دين الموحدين والأنبياء السالفين، كذلك نرى اليوم، كيف تمنح بعض الأطراف الداخلية - بسبب مصالحهم الدنيوية - الاستكبار العالمي الفرصة ليستفيد من مواقفها. وهؤلاء بحبهم للدنيا، أو خوفهم من القوى العظمى يضعون أفكارهم وماضيهم جانباً ويخضعون للمستكبرين والأعداء، ويفضلونهم على الثوريين النهضويين من أبناء جلدتهم، أو شركائهم في الوطن.

هـ إن نتيجة خيانة اليهود للمسلمين وتوحدهم مع المشركين في الدنيا، لم يجلب لهم منفعة سوى الهزيمة للطرفين (اليهود والمشركين)، وتعرضهم للعنة الإلهية، لذلك يقول القرآن الكريم في الآية التي تلي: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾^(١)

٩- إضلال الناس (الهجوم الثقافي):

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢).

(١) سورة النساء: ٥٢.

(٢) راجع: مجمع البيان، مصدر سابق، ج ١-٢، ص ٧٧١، الهامش.

شأن النزول: إن جماعة من اليهود دعوا حذيفة وعماراً ومعاذاً إلى

اليهودية

أ- لقد كفر اليهود، وانحرفوا بعنادهم مع إدراكهم وعلمهم، وسعوا في إضلال الآخرين وصرف المسلمين عن الصراط المستقيم، ومنعهم من الهداية. وهذا في حقيقة الأمر هجوم ثقافي وفكري على المسلمين، فاليهود يستفيدون من جميع الوسائل المختلفة والمتاحة في سبيل تحقيق هذا الهدف.

ب- إن اليقظة ومعرفة ماهية العدو وأهدافه من أهم عوامل إسقاط الهجوم الثقافي، وإفشال مخططاته ومؤامراته، فلو أن الأمة عرفت العدو حقاً، وانتبهت إلى دسائسه، فلن تقع في شرك حباله، ولن تؤخذ على حين غرة منها، وبالتالي لن تكون رهينة الأعداء، لذلك يخاطب القرآن الكريم المسلمين ويطلب منهم التنبه واليقظة لمخاطر اليهود المفسدين المضلين.

ج- المجتمع الذي يملك معتقدات دينية راسخة، ومبان فكرية عميقة وقوية لا يقع تحت تأثير الهجوم الثقافي، ولا الفتنة من قبل العدو، كما حاول اليهود أن يضلوا عماراً وآخرين من الصحابة، لكنهم فشلوا بسبب العقيدة ورسوخ الدين لدى هؤلاء الصحابة، من هنا، فإن تكليف القادة الروحيين والعاملين في مجال التثقيف الديني أن يعملوا على تقوية القواعد والأصول الفكرية والاعتقادية عند الناس، ويعدّوهم

بالمنطق والاستدلال، ويقللوا من خطر تأثيرهم بالضرر من هكذا نوع من الثقافة الغربية والمنحرفة.

د- إن السعي لإضلال الناس هو ضلال في ذاته، وسبب في انحراف الساعين أنفسهم أكثر، وبالتالي هو هجوم ثقافي وتعرض إلى الأمن الفكري والاعتقادي للآخرين، وهذا الأمر غير قابل لغض الطرف عنه والسكوت عليه، ويجب مواجهته بشدة.

ه- اليهود يستخدمون جميع الوسائل المتاحة في سبيل إضلال الناس، وحرفهم عن الصراط، والهجوم على المسلمين ثقافياً وفكرياً وعقائدياً، وبشهادة القرآن الكريم:

١. ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارَ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ^(١)
٢. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾^(٢)
٣. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾^(٣)

(١) سورة آل عمران: ٧١-٧٢.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٠.

(٣) سورة المائدة: ٤٩.

٤. ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغَضُوبِهِمْ إِلَى بَعْضِ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(١)

٥. ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالْسِتِّهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢)

٦. ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾^(٣)

٧. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٤)

١٠- مخالفة الأحكام الإلهية :

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾^(٥)

أ- من أخطاء اليهود العظيمة أنهم عصوا نبيهم ولم يطيعوه، مع وجود العناية واللفظ الإلهي بهم، وعلمهم بالأحكام

(١) سورة البقرة: ٧٦.

(٢) سورة النساء: ٤٦.

(٣) سورة المائدة: ٦١.

(٤) سورة غافر: ٥٦.

(٥) سورة المائدة: ٢٤.

والتعاليم السماوية، فخرجوا يختلفون شتى أنواع الذرائع الواهية والشبهات الساقطة، في مقابل التسليم لأوامر السماء والأحكام الإلهية، وهم يعلمون أن هذه الأحكام والتعاليم إنما جاءت من أجل مصالحهم ومنافعهم، ومع ذلك امتنعوا من تنفيذها، واحدة من هذه النماذج، ما جاء في هذه الآية المباركة، بحيث أمرهم موسى عليه السلام بدخول أرض فلسطين بعد انتصارهم على فرعون، فقالوا له، إن فيها قوماً ظالمين وجبارين، ونحن نخاف منهم ومن قوتهم، ولن ندخلها أبداً ما داموا هم فيها، اذهب أنت وإلهك فقاتلا القوم، فإذا انتصرتم وأخرجتموهم من أرض فلسطين فإنادوا دخولنا إليها.

ب- إن التعبير بجملة (أنت وربك) يوحي بأنهم لا يؤمنون بهذا الرب إلهاً لهم، وإنما هو إله موسى عليه السلام فقط.

ج- إن روحية قبول أحكام الدين في ظل الشرائط السهلة والمريحة، وعدم قبولها أثناء الصعوبات والمشكلات، موجب للسقوط والانحراف في أكثر الأمم والمجتمعات، واليهود بتمردهم وعصيانهم للأوامر الإلهية بقوا مشردين لأربعين سنة في الصحراء. وأمة النبي محمد ﷺ عندما تخلت عن الإمام الحسين عليه السلام ولم تنصره في نهضته ضد طغاة عصره (عبيد الله بن زياد ويزيد)، خاصة، عندما استلزم الأمر الجهاد بالنفس والمال؛ بل استحبت الدنيا والراحة على

الآخرة والصعوبات، وبهذا الخذلان لم تستحق الأمة أياماً سعيدة وجيدة.

د - من الأمثلة الأخرى على تمرد بني إسرائيل وعدم إطاعتهم الأوامر السماوية:

١. ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾^(١).

٢. ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٢).

٣. ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٣).

٤. ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٤).

٥. ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ﴾^(٥).

وأكثر الآيات في سورة البقرة، من ٢٤ إلى ٢٤٩ تتحدث عن بني إسرائيل وفسادهم وتمردهم على الأنبياء والتعاليم السماوية.

(١) سورة البقرة: ٦٥.

(٢) سورة البقرة: ٦٧.

(٣) سورة البقرة: ٢٧.

(٤) سورة البقرة: ٤٤.

(٥) سورة المائدة: ٤٢.

١١- سوء السريرة والضغينة:

﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(١).

أ - يشترك اليهود مع المشركين في الفساد الروحي الباطني، حيث يكونون سوء النية وفساد السريرة، ويفيضون حقداً على المؤمنين، فإذا مسّ المؤمنين شيء من الخير من قبل الله تعالى يغضبون لذلك، وإذا أصابهم الشر يفرحون، خصوصاً، أن بني إسرائيل كانوا يعدّون أن نعمة النبوة منحصرة فيهم، فلا يرغبون أن تمنح لغيرهم من الأمم، فلما كان النبي الأكرم ﷺ وخاتم الأنبياء ليس من بني إسرائيل غضبوا كثيراً وامتلأوا غيظاً وحقداً.

ب - على الرغم من أن خصوصية سوء النية مشتركة بين اليهود والمشركين، غير أن القرآن الكريم في موضع آخر خص اليهود فقط بهذه الميزة القبيحة: ﴿إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾^(٢).

ج - تذكير المؤمنين وتنبههم إلى خباثة اليهود الباطنية، وفسادهم الروحي، وسوء سريرتهم، وعدوانيتهم، موجب لكي

(١) سورة البقرة: ١٠٥.

(٢) سورة آل عمران: ١٢٠.

يتعامل المؤمنون مع هؤلاء بيقظة وتنبه، فلا يغرّنهم الظاهر فيقعوا في شباك الدسائس، ولا يتصوروا أن هؤلاء الأعداء مثلهم، يملكون نفسية سليمة وروحية نظيفة خالية من الشر والفساد، أو يتمنون الخير والمحبة لغيرهم، يتحدث القرآن الكريم في هذا الشأن فيقول: ﴿هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأُنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(١).

د- الحسد والحقد المضمّر في القلب، والغيظ من النعم التي تصل إلى الآخرين يجعل صاحبها في بادئ الأمر مضطرباً وعصبي المزاج، يعاني العذاب الباطني، ويفقده التوازن والاعتدال، ويسلبه الطمأنينة والراحة النفسية، هؤلاء الذين يتمنون للآخرين عدم الراحة وسلب الطمأنينة، هم أنفسهم أول من يتعرض إلى هذا النوع من السلب والعذاب الداخلي.

هـ- رغبات اليهود والمشركين وتمنياتهم بانحصار النعمة فيهم ليس له أي تأثير في الإرادة الإلهية، فالله عز وجل يمنح نعمته على أساس الحكمة والمصلحة، ويجعل نعمة الرسالة والنبوة في من يشاء طبقاً لهذه الحكمة.

و- إن الطريق الصحيح والسليم للنجاة من حقد الأعداء،

(١) سورة آل عمران: ١١٩.

خصوصاً اليهود، وظلامية نفوسهم المملوءة بالكرهية والضعيفة، هو اليقظة والتنبه إلى الروحية الملوثة والقبیحة لهؤلاء، ونواياهم السيئة والخبيثة، ثم الصبر والتوكل على الله تعالى، من بيده النعم جميعها والفضل كله. كما يصرح القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾^(١).

ز- يجب على المؤمنين أن يدركوا جيداً، أن اليهود يريدون دائماً أن تحرفوا عن ديدنكم وترتدوا عنه، ويودون أن تصبحوا كفاراً أمثالهم: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾^(٢).

فاليهود الأعداء يفرحون لو تفعلون ذلك، وتمتلئ قلوبهم غيظاً واضطراباً عندما تسيرون على هدى الصراط المستقيم، وتمشون في محور ولاية الله سبحانه، لذلك يجب أن يكون سلوك المؤمنين، سواء الفردي أو الجماعي، في حركة لا تجعل الأعداء يفرحون، بل في حالة دائمة من الغيظ وعدم الاستقرار.

١٢- العداوة والبغضاء للمسلمين:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾^(٣).

(١) سورة آل عمران: ١٢٠.

(٢) سورة النساء: ٨٩.

(٣) سورة المائدة: ٨٢.

شأن النزول: عندما اشتد الضغط على أصحاب الرسول الأكرم

ﷺ، وراحت كل قبيلة تؤذي من فيها من المؤمنين وتعذبهم، أمر الرسول ﷺ أصحابه المؤمنين بالخروج إلى أرض الحبشة بقيادة جعفر بن أبي طالب، حتى يجعل الله سبحانه وتعالى للمسلمين فرجاً، وكان ملك الحبشة يدعى النجاشي واسمه أصحمة، وهذه هي الهجرة الأولى للمسلمين، فلما علمت قريش بذلك وجّهوا عمرو بن العاص وصاحبه عمارة بن الوليد بالهدايا إلى النجاشي، حتى يرجع المسلمين ويسلمهم إلى المشركين، فلما قدم عمرو بن العاص على النجاشي وأخبره أن قوماً خالفونا في ديننا وسيبوا آلهتنا والتجأوا إليك (وهو يعني جعفر بن أبي طالب وأصحابه) فردهم إلينا. فأرسل النجاشي إلى جعفر فلما حضر قال جعفر للملك: «أيها الملك بعث الله فينا نبياً أمرنا بخلع الأنداد وترك الإستقسام بالأزلام وأمرنا بالصلاة والزكاة والعدل والإحسان..» إلى آخر الحديث. ثم سأله النجاشي هل تحفظ شيئاً مما أنزل الله على نبيك، فقرأ جعفر سورة مريم، فلما وصل إلى قوله وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً، قال النجاشي هذا والله هو الحق.

ثم رد النجاشي الهدايا إلى عمرو بن العاص وطرده وقال لجعفر وأصحابه امكتوا فإنكم سيوم، والسيوم تعني الآمنون، وأقام جعفر وأصحابه في أرض الحبشة بخير وأحسن جوار إلى أن هاجر الرسول

إلى المدينة وعلا أمره، فهاجروا إليه والتحقوا به في المدينة وكان يرافقه سبعون رجلاً منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام فيهم بحيراء الراهب فقرأ عليهم الرسول ﷺ سورة «يس» إلى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى ﷺ^(١).

في هذه الأثناء نزلت الآية الشريفة ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٢).

أ - ذكر اليهود قبل المشركين لعل فيه إشارة إلى شدة العداوة والحقد الذي كانوا يكتفون به في صدورهم أكثر من المشركين على المسلمين، وهذا ما ظهر عملياً فاليهود كانوا أكثر عداوة وأشد بغضاً وإيذاءً للمسلمين من المشركين.

ب - لم يكن قلق المسلمين من النصارى، ولم يكونوا يشكلون أي خطر على المسلمين وفيهم رهبان وقسيسون يقرأون الكتاب ولا يستكبرون، إنما كان القلق من خطر اليهود وأفعالهم.

ج - إذا كانت أفعال اليهود واضحة وأقوالهم ظاهرة، غير أن عداوتهم وأحقادهم الباطنية أكبر من ذلك، وبتعبير القرآن

(١) ملخص ما في مجمع البيان، مصدر سابق، ج٣-٤، ص ٣٦٠-٣٦١.

(٢) سورة المائدة: ٨٢.

الكريم، فإنهم كانوا يعضون على أناملهم من شدة الغيظ والحق، لكن جواب الله سبحانه لهم أن موتوا بغيظهم^(١).

د- إن معرفة ماهية العدو، وحقيقة عداوته وأحقاده وأهدافه وبرامجه ودسائسه وأساليبه العدوانية ضرورة لكل أمة حيّة وفعّالة، فلا يقال أن المؤامرة وهم، وأن العدو مُخْتَلَق كما يعبر دائماً «بوهم المؤامرة»، فنقع في المقابل في الغفلة عن دسائس العدو، والسذاجة في تصديق مظاهره الخادعة وأقواله الواهية بطلب الصلح والسلام، فنحمله على حسن الظن، فتكون ذلك فرصة له للنفوذ إلى الأمة وإعمال الأذية والضرر في مجتمعاتها، والتأثير على الشعوب المسلمة، فيوجد الفتنة والمؤامرات التي توقع بين فئاتها.

ه- إن عداوة اليهود تتخذ أشكالاً مختلفة، فهم يعملون بحسب مقتضيات الزمان، ولكل زمان أدواته؛ فمثلاً: يعملون أحياناً على تحريف الدين، وأحياناً أخرى بالاستهزاء بالأحكام الدينية للمسلمين، وثالثة بالتجريح باللسان، ورابعة بخيانة العهود والمواثيق، وخامسة بالهجوم الثقافي، وسادسة بدس الخلافات بين المسلمين، وسابعة بإرسال الجواسيس والوحدة مع المشركين، وثامنة خلق المشاكل الاقتصادية

(١) راجع: سورة آل عمران: ١١٨-١٢٠.

والاجتماعية، وأخرى بالهجوم العسكري واحتلال الأرض...
والقرآن الكريم والتاريخ والروايات كل ذلك يشهد على
أفعالهم ومؤامراتهم التي لا تعدّ ولا تحصى. وما نشاهده
اليوم من أعمال الصهيونية العالمية واليهود الغاصبين لأرض
فلسطين خير شاهد على ذلك.

الفصل الرابع:

أفعال اليهود العملية:

بالإضافة إلى انحرافات بني إسرائيل الفكرية، ومواقفهم العدائية في الميادين المختلفة، ونظرهم المخالف في شتى المسائل، ودسائسهم ضد الثقافة الإسلامية، وطرحهم المشاريع المعادية وإجرائها أيضاً، نرى أنهم عملياً قد أقدموا على فعل كل ما يقدرون عليه في مقابل المسلمين والشعوب الأخرى. والتأمل بعمق فيما أقدموا عليه يوجب أخذ الدروس والعبر في الحياة الفردية والاجتماعية، بالإضافة إلى إيقاظنا وتبییننا فيما يتعلق بمواجهتهم لجبهة الحق، ووقوفهم في وجه المؤمنين المتدينين، خصوصاً، أن كثيراً من أفعالهم كانت موجهة إلى الأمة الإسلامية، لا بل أن بعض المسلمين قد تأثروا بهم وقلدوهم في بعض أعمالهم.

من المسائل العملية التي أقدم عليها اليهود، والتي اتخذت طابعاً

عمومياً، وقد ذكرهم القرآن بها: اثنا عشر مورداً، نذكرها باختصار في الآيات مورد الإشارة:

١- النكت بالعهود:

﴿أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١)

أ- من الصفات القبيحة التي التصقت باليهود طوال التاريخ وأصبحت ملازمة لهم صفة (النكت بالعهد)، وعدم اعتبار أي قيمة لاتفاقياتهم، حتى البنود التي يكتبونها بأنفسهم، وهذا الأمر قائم سواء في زمن موسى ﷺ أوفي زمن النبي الأكرم ﷺ. لقد نكت اليهود بعهودهم مرات ومرات، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في مواضع عديدة في آياته المباركة، نذكر بعضها:

١- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(٢).

٢- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَضْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...﴾^(٣)

(١) سورة البقرة: ١٠٠.

(٢) سورة البقرة: ٨٣.

(٣) سورة البقرة: ٨٤-٨٥.

٢- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا
قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَايَأْمُرُكُمْ
بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١).

ب- إن عدم الإيمان وضعف الاعتقاد الديني عند اليهود هو منشأ النكث بالعهود، فهم لا يعتقدون أن الله تعالى محيط بجميع أعمالهم، ولا يؤمنون بأن نكث العهد لا يخفى عليه سبحانه وتعالى، ثم أنهم لا يؤمنون أيضاً بالعقاب الإلهي المترتب على نقض العهود، ولا يعتبرون ممن مضوا قبلهم من بني جلدتهم، ومن الأمم السالفة.

ج- لعل المنشأ الآخر الذي جرّأ اليهود على الإقدام على نقض العهود، عنصريتهم وتعصّبهم الأعمى لعرقهم ونسبهم، واعتبار أنفسهم مختلفين ومتمايزين عن الآخرين، فما دام الشيء في مصلحتهم ونفعهم فهو محترم عندهم أما بعد ذلك فلا قيمة له.

د- ما يشاهده العالم اليوم من مواقف وأفعال تقوم بها إسرائيل الغاصبية، يوضح بصراحة أنها لا تقيم أي وزن للمعاهدات والقرارات الدولية، بل تأخذها على محمل السخرية والاستهزاء، وهي تتقضها علناً دون الشعور بأدنى خجل، لا بل تتخبر بذلك،

(١) سورة البقرة: ٩٢.

كل ذلك ليس سوى تلك الروحية الخبيثة المليئة بالخيانة والاعتداء على الغير، ونقض العهود التي ورثوها من أسلافهم اليهود، وبذلك صارت هذه الصفات جزءاً من طبيعتهم البشرية والوراثية، ثم نرى أميركا تحاول بشتى الوسائل، وبالاستفادة من حق (الفيثو) في مجلس الأمن الدولي، أن تعيق جميع القرارات المتعلقة بإسرائيل، وعلى الرغم من ذلك، فإن ما أصدره مجلس الأمن من قرارات بحق إسرائيل يفوق ما أصدره بحق أي دولة أخرى في العالم، ومع ذلك لم تقم إسرائيل أي اعتبار لهذه القرارات بل تعدها غير موجودة.

هـ- لا ينحصر التعدي الإسرائيلي فقط بالعهود والمواثيق، ولا تقف خيانة اليهود الصهاينة عند هذا الحد، بل يخونون الأمانات، فلا يمكن الوثوق بهم مطلقاً، لأنه لا وفاء لديهم، إلا ما دمت قائماً فوق رأسهم بالقوة والتسلط، عندها فقط قد يؤديون الأمانة ويوفون بالعهد: ﴿وَمَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ إِذَا تَامَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا تَامَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(١).

(١) سورة آل عمران: ٧٥.

- يذكر القرآن الكريم أمثلة عديدة لنقض اليهود المواثيق، نشير إلى بعضها:

٦/١ - ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(١).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَضْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾^(٢).

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ فَتَادُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتَوْا مُنُونٌ بَعْضُ الْكُتَّابِ وَتَكْفُرُونَ بَعْضٌ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٣).

والمواثيق عبارة عن:

- ١- عبادة الله وحده.
- ٢- الإحسان إلى الوالدين.
- ٣- الإحسان إلى الأقرباء.
- ٤- الإحسان إلى الأيتام.

(١) سورة البقرة: ٨٢.

(٢) سورة البقرة: ٨٤.

(٣) سورة البقرة: ٨٥.

٥- الإحسان إلى الفقراء والمساكين.

٦- معاشرة الناس بالحسنى .

٧- إقامة الصلاة

٨ - إيتاء الزكاة.

٩- عدم سفك الدماء .

١٠- عدم تهجير الناس وإخراجهم من بيوتهم.

هناك مواثيق أخرى أخذها الله سبحانه على بني إسرائيل راجع

الآيات: (٤٠، ٦٣ و٦٤) من سورة البقرة.

٦/٢- أخذ الميثاق من بني إسرائيل في التوراة أن يؤمنوا بنبي آخر

الزمان ﷺ ورسالته، لكنهم نقضوا الميثاق ولم يؤمنوا به وحاربوه:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣).

٦/٢- لقد عاهد بنو إسرائيل نبي الله موسى ﷺ أن يطيعوه

(١) سورة الانعام: ٢٠.

(٢) سورة الانعام: ٢١.

(٣) سورة آل عمران: ٧٧.

ويعينوه، لكن عندما أمرهم بدخول أرض فلسطين ومقاتلة قومها الجبارين (الطاغوت) خالفوه ونقضوا عهدهم معه، وقالوا له بكل وقاحة: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾^(١).

٦/٤- عندما ورد الرسول الأكرم ﷺ إلى المدينة مهاجراً عاهده بنو النضير وبنو قريظة؛ أن لا يساعدوا أعداءه ولا يتآمروا عليه، لكنهم نقضوا عهدهم مع الرسول ﷺ، وساعدوا المشركين في حرب واقعة الخندق، ووقفوا يداً بيد مع المشركين في وجه المسلمين: ﴿أَوْ كَلِمًا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

٢- التكذيب وقتل الأنبياء:

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾^(٣).

أ- إن الهدف من إرسال الأنبياء والرسول وإنزال الكتب السماوية هداية البشر إلى الحق وإلى المقصد السماوي الواقعي الذي خلقوا من أجله، لكن الأهواء والتعلق بالدنيا ومادياتها وحبها إلى درجة الهوس، هي المانع الأساس لحركة الإنسان في مسير الهداية والاستمرار في طريق الاستقامة، وهذه العوامل

(١) سورة المائدة: ٢٤.

(٢) سورة البقرة: ١٠٠.

(٣) سورة البقرة: ٨٧.

خصوصاً، (هوى النفس) هي سبب تمرد اليهود وعصيانهم لأوامر الله سبحانه وأوامر أنبيائه ﷺ، لا بل مواجهتهم والتصدي لأحكامهم وتكذيبهم والتعدي عليهم: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

لذلك نراهم يكذبون الأنبياء، وحتى أنهم يقتلونهم عندما يتعلق الأمر بالأحكام الإلهية التي لا تتناسب مع أهوائهم. (وما نشاهده اليوم خير دليل على أن اليهود الصهاينة لا يتورعون عن قتل كل من يخالفهم، ويغتالون علناً كل من يعمل ضدهم في العقيدة والسياسة والإقتصاد... ويستفيدون من كل الوسائل في تحقيق هذا الهدف الخبيث)، ومن الأمثلة على ذلك: اغتيال القادة الفلسطينيين، من أمثال الشيخ أحمد ياسين، والدكتور الرنتيسي وغيرهم، كذلك اغتيال قادة المقاومة الإسلامية في لبنان.

ب- من أهم المسائل وأكثرها قيمة على الإطلاق قبول الحق، فلا دور للميول والأهواء النفسية والمنافع الشخصية في هذه المسألة. فاليهود طوال التاريخ كانوا يتقبلون من الأنبياء والتوراة التعاليم والأحكام التي تتوافق مع إرادتهم وأهوائهم ومصالحهم الشخصية ولا تتعارض معها، ويعلنون أنهم يؤمنون بها، لكن إذا

(١) سورة القصص: ٥٠.

تعارضت مع أهوائهم ومنافعهم يكذبونها ويردونها، والنتيجة أن الدين يجب أن يكون تابعاً لأهوائهم، لا أن تكون أهواؤهم تابعة للدين.

ج- معظم المخالفات والتموضع اليهودي في مقابل النهضات الإصلاحية للأنبياء والأولياء والربانيين تابعة من إتباع الهوى والميول النفسية، ولم يكن منشؤها في أي وقت من الاعتقاد أو التصديق أو الرؤية، فاليهود وبنو إسرائيل لم يكن عندهم شك في أحقية الأنبياء وصدقهم وصدق رسالتهم، لكن ما لم يتحملوه ولم يرتضوا به تلك التعاليم والأحكام التي جاء بها الرسل والكتب السماوية، لأنها تخالف أهواءهم النفسية وتتعارض مع ميولهم الدنيوية.

د- إن اتباع هوى النفس خطير إلى درجة يبعث الإنسان على قتل الأنبياء والمعلمين وتصفيتهم جسدياً.

هـ- إن أكثر ما يسبب اتباع الهوى وتفضيل الميول النفسية وترجيحها على كل شيء سواها، النفسية الاستعلائية والروحانية الإستكبارية والعنصرية عند اليهود.

و- إن كشف الستار عن أعمال اليهود، وإفشاء ما كانوا يقومون به من مخالفة الأنبياء والرسل، في الحقيقة، هو نوع من المواساة للنبي الأكرم ﷺ والمسلمين، فلا يتعجبون من عناد اليهود ومخالفاتهم وتكذيبهم، لأنهم كانوا يفعلون ذلك مع أنبيائهم

السابقين، وهذا ما يصرح به القرآن الكريم في بعض آياته الشريفة: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (١).

ز- اليهود لم يكذبوا الرسول الأكرم ﷺ فقط، بل كانوا يضمرون له سوء النية ويكونون الحقد والضعينة، وكانوا يتحينون الفرص لاغتياله وتصفيته جسدياً، كما فعلوا بالأنبياء السابقين، غافلين عن أن الله تعالى لن يمنحهم الفرصة لقتله، وأن النبي الأكرم ﷺ مشمول بحفظ الله عز وجل ورعايته، ولن يدع يد اليهود تمس حبيبه المصطفى بسوء. والقرآن الكريم يبين في الآية التالية أن الله سبحانه حمى المؤمنين وحفظهم وسلمهم من يد الكفار والأشرار: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٢).

وقد ذكر أن يهود بني النضير هموا برسول الله ﷺ يريدون قتله، لكن الله تعالى حفظه من كيد أعمالهم ولم يمكنهم من ذلك (٣).

(١) سورة آل عمران: ١٨٣ و١٨٤.

(٢) سورة المائدة: ١١.

(٣) راجع: مجمع البيان، مصدر سابق، ج٢-٤، ص ٢٦٢-٢٦٣.

٣- التجسس:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١).

المعنى: نهى الله تعالى المؤمنين عن موالاتة الكفار ومخالطتهم خوف الفتنة منهم عليهم، ولا يفشون أسرارهم عندهم، وعلّة ذلك، أن اليهود والكفار من غير أهل ملتكم ولا يقصرون في السعي إلى فساد أمركم ومضرتكم وإضلالكم عن دينكم.

شأن النزول: نزلت في رجال من المسلمين كانوا يواصلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من الصداقة والقرابة والجوار والحلف والرضاع (عن ابن عباس) وقيل نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصادقون المنافقين ويخالطونهم (عن مجاهد)^(٢).

أ- هذه الآية تخاطب المسلمين وليس اليهود، لكنها تحذر المؤمنين من نوع من الدسائس والمؤامرات التي يحيكها اليهود، مستفيدين من الأسرار الداخلية للمسلمين، ومعرفة نقاط الضعف والقوة لديهم، من أجل أذيتهم والوصول إلى أهدافهم المشؤومة، من جملة هذه الأهداف، الاستفادة من أسرار المؤمنين من أجل توجيه ضربة إلى فكرهم، والعمل على إفساد عقولهم، لذلك

(١) سورة آل عمران: ١١٨.

(٢) مجمع البيان، مصدر سابق، ج ١-٢، ص ٨٢٠.

استعمل القرآن الكريم لفظة (خبالاً) ومنه الخبل للجنون لأنه فساد العقل. (١) وذلك من شدة البغضاء والحسد.

ب- إن حفظ الأسرار الفردية والاجتماعية تكليف ديني ووظيفة تخص الأمة (وظيفة قومية بالمعنى الديني وليس القومي)، وهذا العمل يفشل الأعداء المتربصين بالأمة شراً وبمؤامراتهم وبرامجهم الحاقدة، لأن الإفشاء بالأسرار الداخلية يعدّ خيانة كبرى بحق الدين والشعب وخدمة جليلة للعدو.

ج- القرآن الكريم لم يضع خطوطاً حمراء ولا حدوداً لطالب الحقيقة، ويمكن لأي إنسان أن يطرح ما يشاء من الأسئلة وهو آمن، وأن يحصل على الإجابة: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢).
أما المفسدون والجواسيس فأمرهم مختلف، وسؤالهم محل شك وريبة، لذلك يمنع إفشاء أي مسألة عند كل من يسعى وراء الخيانة والمؤامرة ضد المسلمين، ولا يعطى ما يسأل قطعاً، وتوضع الحدود والموانع في طريقه.

د- إن كل فرد في المجتمع الإسلامي، خصوصاً، القادة والمسؤولين سواء الزمانيين والروحانيين، يجب أن يراقبوا مؤامرات العدو وتحركاته المشبوهة ويمنعوه من الوصول إلى نقاط القوة

(١) تفسير الميزان، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٨٦.

(٢) سورة التوبة: ٦.

والضعف عند الأمة، وذلك بإعمال العقل والتدبير من غير أن يكون لافتعال الأجواء الغير مناسبة أي تأثير. لا يجب أن تشبته الأمور على المجتمع، ففي المجتمع الثوري والمقاوم لا يجب الخلط بين ما هو قريب وما هو غريب (من منّا ومن ليس منّا)، ففي كثير من الأحيان يقع البسطاء والمنفعلون تحت التأثير، فيتبدلون إلى جنودٍ للعدو ينفذ العدو من خلالهم إلى داخل المجتمع، ويوجه إلى الأمة ضربات قاسية وغير قابلة للجبران، من خلال المعلومات التي يحصلها من هؤلاء الأفراد البسطاء الغافلين.

هـ- إن حفظ الأسرار وعدم إفصاح الطريق للعدو وعملائه للإطلاع على البرامج والمقررات والجلسات الخاصة، يعد من أهم الطرق للحماية من مؤامرات الأعداء، من المهم التأكيد على الأفراد والقوات والحراس باليقظة من العدو وتحذيرهم من مكره وفسائسه، لذلك عبّر القرآن الكريم في ذيل الآية: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١)

و- في الآية ٤١ من سورة المائدة يبين الله تعالى لرسوله ﷺ أن بعض اليهود هم جواسيس لقوم آخرين: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ

(١) سورة آل عمران: ١١٨ .

مَوَاضِعَهُ يَقُولُونَ إِنَّ أُوتِبْتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ
فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ
لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

٤- الصد عن سبيل الله تعالى:

﴿بِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدْهُمْ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ كَثِيرًا﴾^(١).

المعنى: فيما ظلموا أنفسهم (اليهود) بارتكاب المعاصي، ونقض
المواثيق، والكفر بالآيات وقتل الأنبياء، وقولهم على مريم بهتاناً
عظيماً، وبمنعهم عباد الله سبحانه عن دينه وسبيله التي شرعها
لعباده صدأً كثيراً، وصددهم عن سبيل الله تعالى، وتقولهم على
الله عزّ ولّ الباطل، وادّعائهم أن ذلك عن الله، وتبديلهم كتاب
الله سبحانه وتحريفهم معانيه عن وجوهه، وأعظم من ذلك كله
جحدهم نبوة النبي الأكرم ﷺ، وتركهم بيان ما علموه من أمره
في كتبهم، اقتضت المصلحة تحريم هذه الأشياء (الطيبات)
عليهم، والطيبات في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي
ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ﴾^(٢)

أ - من صفات اليهود الشيطانية القبيحة، خصوصاً العلماء
منهم، أنهم ليسوا فقط لم يسيروا في طريق الهداية والصراط

(١) سورة النساء: ١٦٠.

(٢) راجع: مجمع البيان، مصدر سابق، ج ٢- ٤، ص ٢١٢.

المستقيم، بل جهدوا في منع الآخرين من الهداية والسير على الصراط المستقيم، فكانوا كقطّاع الطرق، يسدون الطريق إلى الله تعالى في وجه الآخرين بوسوسة من الشيطان، ويجرّون الناس نحو أهدافهم ومصالحهم الشخصية: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾^(١).

ب- إن المعاصي التي ارتكبتها العوام من اليهود وغيرهم ممن وقع في حبال حيلهم، بالإضافة إلى علمائهم أنفسهم، جميعها في عنق اليهود الذين صدوا عن سبيل الله تعالى، ومنعوا هداية الناس إلى الصراط والسعادة في الدنيا والآخرة، فكانت موجبة للانحطاط والسقوط والعذابات المضاعفة من قبل الله سبحانه وتعالى، بحيث أنزل بني إسرائيل شتى أنواع العذاب، فكان عذابهم مضاعفاً على غيرهم ممن انحرفوا فقط بأنفسهم ولم يحرفوا غيرهم. وبتعبير آخر، إن التوجه العام لمجتمع بأكمله وسيره في خط يرسمه الخواص بحسب أهوائهم ومصالحهم، بحيث تشكل حركة عمومية تسير خلف مجموعة من الخاصة، فإن صلحوا صلح العامة وإن فسدوا فسد العامة، هذه الخصوصية نشاهدها بوضوح في المجتمع اليهودي وعند علماء بني إسرائيل، وهدفهم في ذلك الصد عن

(١) سورة النمل: ٢٤.

سبيل الله ونشر الفساد والانحراف، لكي يتمكنوا من استثمار الناس لمنافعهم ومآربهم الخاصة، ووضع اليد على الثروات والأموال بالباطل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١).

ج- استخدم اليهود جميع الوسائل المادية والمعنوية في سبيل الفساد والانحراف والصد عن سبيل الله تعالى، ومن الأمثلة على ذلك: إلقاء الشبهات، وبث التشكيك، وتحريف الآيات الإلهية، ونسبة ما لا يجوز إلى الله سبحانه، وكتمان الحقيقة، وبث التفرقة، والعمل على الفتنة، وإيجاد الشغب والأجواء الغير المناسبة، والهجوم الثقافي على المسلمين، والتبليغ ضدهم، وإيجاد البدع والتكذيب والقتل لمن يخالفهم في الفكر والعقيدة والسياسة، بحيث لم يتورع اليهود من استخدام هذه الوسائل حتى مع أنبيائهم: (فريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون)، كذلك نشاهد هذه الأساليب في تعاملهم مع النبي الأكرم ﷺ والمسلمين في صدر الإسلام، واليوم أيضاً يشاهد العالم كيف يستفيد الصهاينة من جميع الإمكانيات والوسائل: (الاقتصادية، السياسية، العسكرية والثقافية)، وبالإنكاء على الغرب وما يمثل من قوة

(١) سورة التوبة: ٣٤.

في جميع المجالات، كل ذلك من أجل محاربة المسلمين والدول الإسلامية، لكن ما يدعو إلى الأسف أن أكثر الزعماء المسلمين وقادة هذه الدول غافلون أو مستغفلون.

د - الصدّ عن سبيل الله سبحانه وسدّ طريق الهداية في وجوه الناس، إضافة إلى العذاب الأخروي الذي لا مفرّ منه، يوجب الحرمان من النعم الإلهية المادية والمعنوية (الحلال) في الدنيا أيضاً: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

٥- الاستهزاء بالدين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢)

المعنى: ينهى الله تعالى المؤمنين عن مولاة الكفار واليهود، ممن أظهروا الإيمان باللسان واستبطنوا الكفر، وأن لا يتخذونهم بطانة وأخلاء، لأنهم اتخذوا دين المسلمين هزواً.

أ - عندما يعجز اليهود والمشركون والمنافقون في الرد على منطق الإسلام القوي وأحكامه الحقّة، ويستنفذون وسائل الدفاع المختلفة عن عقائدهم الباطلة، يعمدون إلى الاستهزاء من مقدسات الإسلام وقيمه السامية، ويتخذون أحكامه ومناسكه

(١) سورة آل عمران: ٩٩.

(٢) سورة المائدة: ٥٧.

وتعاليمه على محمل السخرية واللعب، ففي الآية التي تلي يبين القرآن ذلك بوضوح: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١)

ب - هذا الأسلوب القبيح له سابقة عند اليهود، فاليهود كانوا يستهزئون بأنبيائهم ويسخرون من تعاليمهم، لكنهم في نهاية الأمر يقعون هم أنفسهم في هذا الاستهزاء والسخرية، فيحقيق بهم ويؤخذوا به: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَىءَ بِرَسُولٍ مِنْ قِبَلِكُمْ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخَرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٢)

ج - للإيمان ركنان: التولي والتبري، أي قبول ولاية الله تعالى والبراءة من ولاية من دونه. فمع قبول ولاية هؤلاء الذين لا يحترمون مقدسات المسلمين ومعتقداتهم لا يمكن الإدعاء بالإيمان والتدين، من هنا فإن الأفراد الذين لا غيرة عندهم على الدين، ويتساهلون في أمورهم العقائدية، ويسايرون الذين يتخذون دينهم هزواً وسخرية، ويعقدون معهم الصداقات والعلاقات الحميمة، لا يمكن عدّهم من المؤمنين والمتدينين.

د - الاستهزاء والسخرية والتجريح بالقول واللسان هو نوع من الحرب النفسية، من أجل كسر روحية المسلمين وتثيبتهم ودفعهم باتجاه التزلزل وعدم الثبات على الدين، لذلك يجب

(١) سورة المائدة: ٥٨.

(٢) سورة الأنعام: ١٠.

مواجهة هذا الأمر بالإيمان القوي والتقوى والتوكل على الله تعالى وعدم الانفعال.

هـ - إن إقدام العدو، خصوصاً، اليهود على الاستهزاء من الشعائر والتعاليم والعقائد الدينية دليل على أن هذه الشعائر لها تأثير كبير، ولا يمكن للعدو تحملها، لذلك يظهر ردة فعله المتعصبة ضد الإسلام، وهذا يعني الثبات والإقدام أكثر فأكثر على نشر هذه الشعائر.

٦- نشر الفساد:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَاتِ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١)

أ- المشهور أن أكثر الأمم لم تسلّم لأنبيائها في مقابل ما جاؤوا به من إصلاح وهداية، غير أن اليهود لم يسلموا لتعاليم أنبيائهم أكثر من أي أمة أخرى، ليس هذا فقط، بل لم يألوا جهداً في نشر الفساد ومواجهة الأنبياء والمصلحين، ولم يتركوا وسيلة إلا استخدموها في هذه المواجهة، حتى وصل بهم الأمر إلى المسارعة والتسابق في أكل الحرام وارتكاب المعاصي والعدوان

(١) سورة المائدة ٦٤.

والقتل: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْأَثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكَلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(١).

ب- شعار جميع الأنبياء والأوصياء هو الإصلاح والعدالة والاستقرار ومواجهة الفساد والانحراف، متوكلين في ذلك على الله تعالى:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾^(٢).

كل طرف يدعي الإصلاح، وكل مجموعة تحمل لواء هذا الشعار، لكن الخلاف في ماهية هذه الإصلاحات؛ أو كيف يكون الإصلاح؟ وبأي وسيلة نصل إلى هذا الهدف؟ لكن ما يستفاد من القرآن الكريم أن هناك طريق واحد، هو التمسك بكتاب الله والعمل على تطبيق الأحكام السماوية، وبغير ذلك لا يمكن الوصول إلى الإصلاح: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾^(٣).

ج- يبين القرآن الكريم فسادين كبيرين لبني إسرائيل، وقد

أشارت التوراة المقدسة إلى هذين الفسادين: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾^(٤) ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ

(١) سورة المائدة: ٦٢.

(٢) سورة هود: ٨٨.

(٣) سورة الأعراف: ١٧٠.

(٤) سورة الاسراء: ٤.

شَدِيدَ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿١﴾
 ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٢﴾
 ﴿إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِن أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا
 وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٣﴾
 ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
 حَصِيرًا ﴿٤﴾﴾ (١)

ولعل أشهر التفاسير لهذين الفسادين الذين يليهما تدميران لدولة
 بني إسرائيل وإزالة حكمهم كالتالي:

١. الفساد الأول قتل زكريا عليه السلام والفساد الثاني قتل يحيى عليه السلام.
٢. الفساد الأول قتل شعيب عليه السلام والفساد الثاني قتل يحيى عليه السلام.
٣. إشارة إلى قتل أمير المؤمنين علي عليه السلام وبنيه عليهم السلام.
٤. إشارة إلى قصة جالوت، والثانية قضاء بخت نصر (نبوخذ نصر) على دولتهم.
٥. الأولى حملة بخت نصر على اليهود وتدمير دولتهم، والثانية هجوم طيطوس (الملك الهخامنشي) من ملوك الفرس.
٦. فساد اليهود في أول الدعوة الإسلامية وطرد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لبني إسرائيل من أرض الجزيرة، والثانية قتل اليهود على يد هتلر النازي.

(١) سورة الاسراء: ٥-٦-٧-٨.

غير أن صاحب تفسير الميزان يذكر أن: «الذي هو كالمسلم عندهم أن إحدى هاتين النكابتين اللتين تشير إليهما الآيات هي ما جرى عليهم بيد بخت نصر (نبوكد نصر) من ملوك بابل قبل الميلاد بستة قرون تقريباً.

وكان ملكاً ذا قوة وشوكة من جبابرة عهده، وكان يحمي بني إسرائيل فعصوه وتمردوا عليه، فسار إليهم بجيوش لا قبل لهم بها وحاصر بلادهم، ثم فتحها عنوة فخرب البلاد وهدم المسجد الأقصى، وأحرق التوراة وكُتب الأنبياء، وأباد النفوس بالقتل العام، ولم يبق منهم إلا شردمة قليلة من النساء والذراري وضعفاء الرجال، فأسرهم وسيرهم معه إلى بابل فلم يزالوا هناك لا يحميهم حام ولا يدفع عنهم دافع طول زمن حياة بخت نصر وبعده زماناً طويلاً، حتى قصد الكسرى كورش أحد ملوك الفرس العظام بابل وفتحها، فتلطف على الأسرى من بني إسرائيل وأذن لهم بالرجوع إلى الأرض المقدسة وأعانهم على تعمیر الهيكل - المسجد الأقصى - وتجديد الأبنية وأجاز لعزراء (عزير) أحد كهنتهم أن يكتب لهم التوراة، وذلك في نيف وخمسين وأربعمائة سنة قبل الميلاد.

والذي يظهر من تاريخ اليهود أن المبعوث أولاً لتخريب بيت المقدس هو بخت نصر وبقي خراباً سبعين سنة، والمبعوث ثانياً هو قيصر الروم إسبيانوس سير إليهم وزيره طوطوز فحرب البيت وأذل القوم

قبل الميلاد بقرن تقريباً^(١).

لكن المهم أن بني إسرائيل لم يعتبروا من الحادثتين، وأن الله تعالى يجازيهم في كل مرة يفسدون فيها في الأرض حتى في هذه الدنيا قبل الآخرة.

د- من مصاديق الفساد الأخرى والتي وردت في الآيات والروايات: بث الاختلاف والتفرقة، التعدي والاستيلاء على أموال الغير وممتلكاتهم، استعمار الآخرين، الصد عن الحق، أكل الحرام والسحت والرشوة، قتل النسل، إحداث الفتن، الطغيان والتعدي، حرف أفكار الآخرين، الإخلال بالأمن العام، النفاق وتحريف الواقع، مزاولة السحر والشعوذة، أكل الربا. وخلاصة القول، أن اليهود لم يتركوا معصية إلا ارتكبوها، ولا فساداً إلا ركبوه، وليس أدل على ذلك من كثرة الآيات والروايات التي تتحدث عن فساد بني إسرائيل.

٧- الافتراء على الله الكذب:

﴿انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾^(٢)

شأن النزول: قيل نزلت في رجال من اليهود أتوا بأطفالهم إلى النبي ﷺ فقالوا هل على هؤلاء من ذنب؟ فقال: لا فقالوا: ما نحن إلا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفرّ عنا بالليل وما عملناه بالليل كفرّ عنا

(١) تفسير الميزان، مصدر سابق، ج ١٢، ص ٤٤.

(٢) سورة النساء: ٥٠.

بالنهار فكذبهم الله عن (الكلبي). وقيل نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى... وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام (١).

أ - الروحية العنصرية وتمجيد الذات عند اليهود وصلت بهم إلى حد الافتراء بما لا يجوز عليه سبحانه، علاوة على افتراءهم على الأنبياء والصالحين.

ب - العجب والغرور إذا لم يتوقف عند حد فإنه يوصل الإنسان إلى الانحراف الفكري، ويبعث على نسبة ما لا يجوز إلى الله تعالى والافتراء عليه كذباً وعدواناً، بل قد يصل الأمر إلى تعيين ما يتوجب على الله فعله وما لا يتوجب فعله، كأن يقولوا يجب على الله تعالى أن يميزنا عن الآخرين.

ج - الأمر المثير للتعجب أن يصدر هذا الافتراء من قوم يعدون أنفسهم أهل كتاب، ويصدقون بالكتب السماوية والرسل وما نزل من عند الله سبحانه، ويتجرأون على فعل هذا العمل القبيح، أو يجعلون لأنفسهم مقاماً ليس حقيقياً ولا واقعياً، لذلك عبر القرآن الكريم بكلمة: (أنظر كيف)، ما يشير إلى التعجب والاستغراب من هذا الطرح الغريب والغير مقبول.

د - الافتراء على الله تعالى ذنب عظيم، بحيث إذا لم يرتكب اليهود

(١) مجمع البيان، مصدر سابق، ج٢-٤، ص ٩٠-٩١.

أي ذنب سوى هذا الذنب لكان كافياً لإنزال العذاب، وأي معصية أكبر من هذا الذنب؟ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(١).

هـ- لمصاديق الافتراء على الله والكذب عليه صور كثيرة، منها: نسبة تفضيل اليهود على غيرهم من الأمم إلى الله تعالى، نسبة الكذب إليه تعالى في نظام الخلق، اختصاص الجنة بمجموعة معينة من أصحاب الديانات، تصويرهم أن الله عز وجل تجسد على هيئة إنسان وتصارع مع أنبيائه، وغير ذلك من تفسير الآيات بالرأي ونسبتها إلى الخالق عز وجل، وكل ذلك دليل على الكفر بآياته وعدم الإيمان بها: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾^(٢).

٨- قساوة القلب:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٣).

أ - بعد بيان قصة بقرة بني إسرائيل في سورة البقرة، يعرف

(١) سورة هود: ١٨.

(٢) سورة النحل: ١٠٥.

(٣) سورة البقرة: ٧٤.

القرآن الكريم هؤلاء القوم بأصحاب القلوب القاسية، ويشبهها بالحجارة الصماء الصلدة، بل أشد قسوة منها، بحيث أنها وصلت إلى مرحلة غير قابلة للتغيير، فاليهود وبعد كل تلك المعجزات والعلامات والمدد الغيبي من قبل المولى تعالى، لم تلتن قلوبهم ولم يتوجهوا إلى الله تعالى، بل على العكس، كلما زادت المعجزات ونزلت الآيات الإلهية عبر مرور الزمن، كلما ازداد عنادهم وظهرت مخالفتهم للشرع المقدس وللأنبياء وتعاليمهم، ولم يعتبروا بكل ما جرى عليهم.

ب- قساوة القلب من أسوأ الأمراض الروحية وأقبح العلل القلبية، بحيث تميت القلب وتغشّيه بالصدأ والسّواد، فيختم عليه، واليهود بسبب هذا الابتلاء القاتل لم يظهروا أي انعطافة نحو قبول دعوة الأنبياء وهدايتهم، رحمة بهذه الأمة وشفقة عليها. بل كان جوابهم: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

قوله كذلك: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢)

ج- من علامات الإيمان امتلاك قلب يقظ وليّن يحمل العواطف والأحاسيس الإنسانية، بحيث إذا ذكر الله سبحانه وجل القلب

(١) سورة البقرة: ٨٨.

(٢) سورة النساء: ١٥٥.

وازداد إيماناً وتألقاً وسروراً وطمأنينة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(١).

أما في الجهة المقابلة، فإن من علامات الكفر عدم التأثر ببشارة الأنبياء ولا بإنذارهم، بحيث أن القلب قد امتلأ بحب الدنيا وانشغل بغير الله سبحانه، فلم يبق لله تعالى فيه من مكان، فختم الله عز وجل على قلوب هؤلاء بسبب أعمالهم القبيحة وخبث باطنهم وفسادهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ^(٢). لذلك فهم محرومون من فهم الحقيقة وإدراك الواقع.

د- القلب هو حرم الرب، ومكان تجليات أنواره الغيبية، بحيث يمكنه السموّ والعروج إلى أرقى المدارج، في أعلى عليين، بهذه التجليات القدسية والأنوار الملكوتية، وبذلك يكون في حكم مركز القيادة والهداية لجميع الأعضاء والجوارح الأخرى للوصول إلى الكمال المطلوب. غير أن التعلقات المادية الدنيوية الوضيعة والعناد ومخالفة أحكام الشريعة تجعل القلب قاسياً وغلظاً ويختم عليه، فيحيل صاحبه إلى أسفل سافلين، فلا يمكن أن يطلق عليه خليفة الله سبحانه، ويصبح، بلا شك،

(١) سورة الأنفال: ٢.

(٢) سورة البقرة: ٦-٧.

أضل من الحيوان وأوضع منه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(١).

هـ- واليهود إضافة إلى عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم التي لم تلتن في مقابل الآيات الإلهية والمعجزات الواضحات، نرى أن علاقاتهم مع الأمم الأخرى قائمة على الوحشية وقساوة القلب وانعدام العاطفة والرفق، فهم يعاملون الناس من غير ملتهم بسلوك حيواني مفترس، فكل من ليس معهم يعد عدوهم، ويستحق منهم كل غلظة وشدة، ويجيزون الاعتداء عليه وعلى أمواله وممتلكاته، ويستعملون شتى الوسائل في سبيل ذلك، وما نشاهده اليوم من سلوك الصهيونية العالمية إلا صورة بارزة عن نمط علاقاتهم مع الآخرين، وطبعهم الوحشي في التعامل مع غير اليهود، وما يراه العالم من اعتداءات وجرائم وحشية غير قابلة للوصف، سواء في لبنان وفلسطين وكل العالم الإسلامي، خير دليل على تاريخهم وحاضرهم، وفي المقابل، نرى أن هذا العالم الذي يدعي حقوق الإنسان، وينادي بالحرية والعدالة، لا يقوم بأي ردة فعل خوفاً من إغصاب هذا الغول المفترس الذي لا يقيم للأعراف السماوية والأرضية والإنسانية أي اعتبار.

(١) سورة الأعراف: ١٧٩.

و- عوامل قسوة القلب كثيرة، وقد وردت في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة بوفرة، من أهم هذه العوامل التي ابتلى بنو إسرائيل بأكثرها: نقض المواثيق، الكفر بما أنزل الله تعالى وعدم الخضوع للحق، طول الأمل، عدم ذكر الموت، استماع اللهو، طلب الصيد وإتيان السلطان، ترك العبادة والذكر، كثرة المال^(١).

كذلك هناك عوامل أخرى اختص بها اليهود: أكل الحرام والربا، كثرة المعاصي والذنوب، إتباع الهوى، حب الدنيا والتعلق بالشهوات، ومعاداة الحق.

ز- في مقابل عوامل قسوة القلب، هناك عوامل تحيي القلب وتلينه وتجعله مبهتجاً بالحق وذكر الله سبحانه، والواقع أن اليهود حرموا من هذه العوامل ونأوا بأنفسهم وقلوبهم عنها: كثرة ذكر الله تعالى، ذكر الموت والقيامة، التدبر في آيات الله عز وجل، ترك الضغينة والحقد، البعد عن الجمود والتحجر الفكري، التوبة من الذنب، مجالسة العقلاء والعلماء، الاهتمام بالمحتاجين والفقراء ومواساتهم، البكاء من خشية الله، تلاوة القرآن الكريم و...

(١) راجع، محمد الريشهري، ميزان الحكمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ج٨، ص ٢٤٦٠-٢٤٦٢-٢٠٠١م.

٩- النفاق:

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾^(١).

أ- عندما أدرك يهود المدينة قدرة المسلمين لم يستطيعوا مواجهتهم رسمياً، وبصورة علنية، لذلك توسلوا النفاق سبيلاً، وراحوا يتعاونون مع المشركين وينسّقون حركاتهم معهم في حركة خبيثة، مستفيدين من إظهار الوجهين واللسانين، وهذا عين النفاق، وفي كل ذلك بقوا على عقائدهم ولم يحددوا عنها، فإذا لقوا المؤمنين أظهروا الإيمان واستفادوا من الوضع الآمن في المدينة والإمكانات المتاحة فيها، من أجل جمع المعلومات والإطلاع على أسرار المسلمين، ثم كانوا إذا رجعوا إلى مدبّري الدسائس وصنّاع المؤامرات، وضعوا هذه الأسرار والمعلومات في اختيارهم وأطلعوهم على خطط المسلمين وأسرارهم. وإذا كان المنافقون من المشركين هم من يديرون النفاق في مكة، حتى بعد فتحها على يد المسلمين، فإن النفاق في المدينة كان يُدار من قبل اليهود.

ب- الخطاب في هذه الآية موجّه إلى المسلمين، والحقيقة أن الله سبحانه يحذّر القيادة المسلمة وأفراد المجتمع المسلم من

(١) سورة المائدة: ٦١.

خطر النفاق اليهودي، فلا يغلون عن هذا الأمر فيكونون عرضة للوقوع في فخ هؤلاء المنافقين، ولا يندعون بالظواهر المدعية للإيمان والقداسة. والتعبير القرآني واضح، بأن المنافقين من اليهود يدخلون على المسلمين وهم كافرين ويخرجون وهم كافرين، فهم لم يتأثروا أبداً بالمسلمين وبعقائدهم، ولم يتحولوا إطلاقاً، ولم يكن دخولهم إلا بدافع التخريب واستراق المعلومات والأسرار، والحقيقة أن قلوبهم ليست مستعدة إطلاقاً للقبول بأي شيء آخر.

ج- إذا أظلمت القلوب وسادها السواد، ووصلت إلى حد لم تعد تسمع الحق وترى الحقيقة، عندها لا يمكن لنفس الأنبياء المقدّس ولا إجراءاتهم العملية أن تؤثر في أصحاب هذه القلوب، ويغدو دخولهم في المجتمع الإسلامي وخروجهم سيّان، فلا يتصورنّ أحد أن إعطاءهم الفرصة وخلو الساحة لهم سوف يغيرهم ويؤثر فيهم، وبالتالي سيهددهم، بل إن حضورهم لن يكون إلا من أجل التخريب وإعمال المؤامرات.

د- مشكلة المنافقين اليهود الأساسية في المدينة هي أن الله تعالى فضح أسرارهم ومكائدهم، واطلع الرسول والمسلمين عليها بوسيلة الوحي، وحذرهم من نفاقهم ودسائسهم وأفضلها جميعها، ثم أن اليهود حافظوا على سياق سلوكهم بالنفاق

والتعاون الكامل مع المشركين وسائر المنافقين، حتى بعد رحلة الرسول الأكرم ﷺ. وهذا النفاق وما ينتج عنه من الذنوب والمعاصي التي ارتكبتها عموم اليهود، إنما يقع على كاهل علمائهم، لأنهم كانوا يكتمون الحق فيمنعون بذلك الآخرين من معرفة الحق والهداية، ولا ينهون عن المنكر فيمهدون الأرض لنشر الفساد، لذلك ينتقد القرآن الكريم في الآية التالية أخبار اليهود ويلومهم على ترك النهي عن المنكر:

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْاِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ لَبَئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(١).

هـ- من مظاهر النفاق عند بني إسرائيل الازدواجية في التعامل مع التوراة، والنفاق في تعريف شخصية الرسول الأكرم ﷺ، بالإضافة إلى الضربات المؤلمة التي وجهها اليهود إلى المسلمين، والمؤامرات والدسائس التي حاكوها ضدهم، سواء في حياة النبي محمد ﷺ، أو بعد رحيله إلى الملكوت الأعلى. وما كعب الأخبار وعبد الله بن سلام سوى مثال واضح لهذه الطبقة المنافقة من اليهود الذين تعاملوا مع المسلمين بوجهين ولسانين، وحاولوا تمزيق الصف الإسلامي بتوجيه الضربات القاسية وحقاكة المؤامرات.

(١) سورة المائدة: ٦٢.

١٠ - شراء متاع الدنيا بالدين :

﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(١).

شأن النزول: «عن أبي جعفر الباقر عليه السلام وعن جماعة من أهل التفسير... وقيل كتابتهم بأيديهم أنهم عمدوا إلى التوراة وحرفوا صفة النبي ﷺ ليقوعوا الشك بذلك للمستضعفين من اليهود... وقيل كانت صفته في التوراة أسمر ربعة فجعلوه أدم طويلاً وفي رواية عكرمة عن أبي عباس قال أن أحبار اليهود وجدوا صفة النبي ﷺ مكتوبة في التوراة أكحل أعين ربعة حسن الوجه فمحوه من التوراة حسداً وبيعاً فأتاهم نضر من قريش فقالوا أتجدون في التوراة نبياً منا قالوا نعم نجده طويلاً أزرق سبط الشعر...»^(٢).

أ- يمكن الاستنتاج أن اليهود في زمن البعثة النبوية، كذلك في العصور الأخرى، كانوا فئتين: فئة العوام من اليهود المقلدين الذين يتبعون أحبارهم ورهبانهم خبط عشواء ومن غير تبصر، فكانوا يتبعونهم اتباع الأعمى للبصير. وكانوا ورقة استثمار رابحة في يد العلماء من بني إسرائيل.

والفئة الثانية: هم العلماء الذين علموا حقيقة الإسلام وأحقيته، ووجدوه مكتوباً في التوراة، لكنهم مع ذلك عرفوا عوام الناس

(١) سورة البقرة: ٧٩.

(٢) مجمع البيان، مصدر سابق، ج ١-٢، ص ٢٩٢.

الدين وقدموه لهم بشكل مغاير للحقيقة، وذلك من أجل البقاء على استثمار الطبقة العامة، ومنعهم من معرفة الحقيقة، كي يحافظوا على مواقعهم ومنافعهم الشخصية ومصالحهم الدنيوية، ويُبِقُوا الناس على تقليدهم الأعمى.

ب- من أقبح الأعمال التي ارتكبتها علماء اليهود شراء متاع الدنيا بالدين الإلهي، والاسترزاق عن طريق تحريف الدين، لذلك عبر القرآن بعبارة (ويل) ثلاث مرات، وهذا يدل أن من يبيع دينه مقابل دنياه، ويحرف التعاليم السماوية في سبيل استثمار الآخرين، عليه أن يواجه أصعب العقوبات وأقساها، ولا ينتظر من الله تعالى سوى الغضب والسخط عليه.

ج- يتوجب على عامة الناس أن لا يقبلوا كل ما يطلبه أو يقوله الآخرون، من دون تأمل أو تبصر، وأن لا يغلطوا عن الحقائق والواقع، وإلا سوف يقعون في يد الخائنين وبائعي الدين بالدنيا كأفضل ورقة استثمار، وبذلك يخسرون دينهم ودنياهم وآخرتهم. ثم إن التقليد في أصول الدين مردود، والتقليد الأعمى في الفروع أيضا غير مقبول ولا مستحسن، إنما التقليد يكون في معرفة الأحكام (وليس العقائد)، فإن كان الفرد ليس من أهل الاختصاص والعلم والدراية، يعود في غياب الإمام المعصوم إلى علماء الدين والمتخصصين في الشؤون الفقهية، ممن أحرزوا صفة العدالة والسلامة في النفس والدين وسلموا من

أي انحراف، فلا يتبعوا من يحمل المسائل على أساس الرأي والمنفعة الشخصية، بل عليهم الاقتداء بمن يقوم باستنباط الأحكام الإلهية ويكشف عن الأحكام بالوجوه الشرعية ويقدمها إلى الناس في غياب المعصوم عليه السلام.

فإذا كانت المسؤولية في إضلال الناس من العامة تقع على علماء اليهود، وإذا كانت الخيانة والتغريب والانحراف صدر من هؤلاء العلماء، وبالتالي أثروا على العامة، فهذا لا يعفي عامة الناس من المسؤولية، لأن تقليدهم كان تقليداً أعمى ومن غير مبنى صحيح.

د- اللعب بالأحكام الإلهية وتحريف التعاليم والآيات السماوية وبيع الدين بالدنيا خطر دائم، وآفة كبيرة من آفات المجتمعات الدينية، وعادة ما يقوم به العلماء الفاسدون طلاب الدنيا والأشخاص المقبولون من عامة الناس. والأمة الإسلامية طوال التاريخ قد ابتليت مرات ومرات بهذه الآفة، حيث نرى أن المغرضين وضعفاء النفوس من المقبولين عند عامة الناس، كلما خالف الدين أهواءهم ومانافعهم الشخصية من جهة، ورأوا أنهم لا يمكنهم مخالفة أحاسيس الناس وعواطفهم الدينية من جهة أخرى، عمدوا إلى إظهار الدين وتعريفه للعامة بصورة مغايرة للحقيقة والواقع، بحيث لا يشكل لهم أية مشكلة أي (دين غير مزعج - دين بلا حركة)، ونرى نماذج كثيرة في وقتنا الحاضر على تقديم هذا النوع من الدين.

و- لقد نهى الله تعالى بني إسرائيل عن فعل التكسب القبيح هذا، والاسترزاق بالدين وشراء الدنيا ومتاعها بتحريف الآيات والتعاليم السماوية: ﴿وَأْمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّاي فَاتَّقُونِ﴾^(١). لكن اليهود لم ينصاعوا للأوامر الإلهية، وشروا بالآيات والأحكام متاع الدنيا الزائلة، فكانوا أن استحقوا العذاب الإلهي، وكانت نتيجة هذه التجارة الخاسرة إعراض الله سبحانه عنهم، لأنهم بدلوا الهداية بالضلال والعذاب بالمغفرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾^(٢).

ز- الأديان السماوية إنما جاءت من أجل الهداية، وليس من أجل تأييد الأمراء والسلطين وإرادتهم الشخصية التي يلبسونها لباس الدين، لذلك عدّ تفسير الآيات والتعاليم بالرأي وفرض الآراء وتحميلها على الآيات من الذنوب الكبيرة. من هنا، يتوجب مواجهة هذه الأفعال، لأن التفسير بالرأي يوجب التحريف في الدين وإضلال الناس وحرفهم عن الحقائق، وكل من يدخل هذا الميدان وهو عارف متعمد لهذا الفعل فهو مفسد في الأرض،

(١) سورة البقرة: ٤١.

(٢) سورة البقرة: ١٧٤-١٧٥.

تماماً، كما فعل علماء اليهود وأخبارهم، حيث أظهروا تعاليم التوراة بالصورة التي أرادوها، بما يوافق أهواءهم ومصالحهم الشخصية، مستفידين من جهل عامة الناس.

ح- أفضل السبل لإفshal طروحات العلماء المفسدين، وإسقاط خططهم التي يستثمرون بها عواطف العامة الدينية، ويسيتئون الاستفادة منها تكون كالتالي: أولاً: السعي من أجل الارتقاء ببصيرة عامة الشعب والعمل على تقوية اليقظة والتنبه لديهم، على أن لا يقبلوا أي كلام أو مطلب يصدر من أي شخص - حتى لو كان عالماً - من دون دليل ومستند، خصوصاً، في المسائل العبادية، وأن لا يكونوا أسراء التقليد الخاطيء، وبتعبير أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الحق والباطل لا يعرفان بأقدار الرجال، اعرف الحق تعرف أهله واعرف الباطل تعرف أهله»^(١). ثانياً: على وسائل الإعلام أن لا تكون - من حيث تعلم أو لا تعلم - مطية لعلماء السوء المفسدين أو أبواقاً لعلماء (تجار الدين)، عليهم أن يحذروا من هؤلاء. لكن في نهاية الأمر، ستكون عاقبة هؤلاء المفسدين سيئة، ولن ينظر الله تعالى إليهم، ولن تشملهم الرحمة الربانية أبداً: **«الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ»**^(٢).

(١) ميزان الحكمة، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٧٣-٤٧٤.

(٢) سورة الأعراف: ٥١.

١١- الحرص على الدنيا :

﴿وَلْتَجِدْنَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾^(١)

أ- بالنظر إلى الآيات التي تسبق هذه الآية، يتضح أن اليهود كاذبون ومناققون ومخادعون، فمن جهة يدعون أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون غيرهم من الأمم، وهم أحباء الله تعالى، ولهم عنده مقام خاص ليس لأحد سواهم، ومن جهة أخرى، يطمنون لو يعمرّون أبد الدهر، فهم بذلك أحرص على الدنيا حتى من المشركين، والحقيقة أنهم لا يحبون الموت لعلمهم بعاقبة الأمور، ذلك بما فعلوا من ارتكاب المحرمات والتحريف وإضلال الناس وتكذيب الأنبياء وقتلهم، وغير ذلك من الأفعال

المشينة: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ، وَلْتَجِدْنَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

ب- من أهم عوامل انحرافات اليهود الفكرية والعملية، خصوصاً في زمن الرسول الأكرم ﷺ، تعلقهم الشديد بالدنيا وحب

(١) سورة البقرة: ٩٦.

(٢) سورة البقرة: ٩٤-٩٥-٩٦.

المال والجاه إلى درجة الهوس، لقد كان كبارؤهم ورؤسأؤهم لا يتورعون عن ارتكاب شتى المعاصي، وتوسل الفساد والسلوك السيء من أجل الحفاظ على مصالحهم الشخصية الناشئة من عبودية الدنيا، والتعلق بالماديات، وحب الشهوات، واتباع الرغبات والأهواء النفسية، والتاريخ الماضي والحاضر أكبر شاهد على أنه لا يوجد أمة ولا شعب، لا في الماضي ولا في الحاضر، أكثر حرصاً على المال والمقام وحب الدنيا من بني إسرائيل، ولا يوجد أحد في الدنيا أجاز لنفسه فعل أي شيء، وأباح ارتكاب ما يشاء للحفاظ على هذه المكاسب الدنيوية كما فعل اليهود.

لقد أباحوا لأنفسهم القتل والافتراء على الله عزّ وجلّ، وتكذيب الأنبياء وقتلهم، وارتكاب الفساد، والنكت بالعهود، والسجود للأصنام، وبيع الدين، والخيانة، وغير ذلك من القبائح والردائل. كل ذلك في سبيل الوصول إلى متاع الدنيا.

ج- كان يُتوقع من اليهود أن يقبلوا دعوة الرسول الأعظم ﷺ الموعود، ويتمتعوا بنعمة النبوة والهداية الإلهية قبل غيرهم من الناس، لأنهم لم يعترهم الشك ولا التردد بأحقية الرسول والدين الإسلامي من الناحية الفكرية والعقائدية التي كانوا يحملونها، لأن أحبارهم وعلماءهم كانوا مطّلعين على هذه البشارة، وقد قرأوها في كتبهم، وذكرت أوصاف النبي في

توراتهم بشكل لا يقبل التأويل، لكن للأسف، حرصهم الشديد على الدنيا، وحبهم للشهوات والمال والجاه جعلهم يدوسون على جميع الحقائق والمعتقدات، ويغمضون أعينهم، ويصمون أذانهم عن الحق والحقيقة، ليس هذا فقط، بل دفعهم الحرص على العلاقات الدنيوية والتعلق بمتاعها الفاني إلى ارتكاب أقبح الأعمال. وهذا الأمر لا يتعلق باليهود فقط، لأن كل أمة وكل فرد عندما يسلم نفسه للدنيا، ويسخر ذاته عبداً لها، فإنه يسلك بذلك وادٍ لا قرار له من الفساد والمعاصي، والحديث النبوي الشريف يعبر عن ذلك خير تعبير، حين يقول: «حب الدنيا أصل كل معصية وأول كل ذنب»^(١). وهذا يدل على أن حب الدنيا والحرص عليها والهوس بالمال والجاه، بحيث يصل الإنسان إلى حالة يصبح فيها أسير الماديات، يسقط الإنسان في بئر من الانحطاط والكفر لا يعلم قعره أحد.

د- إن الرغبة في طول العمر، بحيث يتمنى الإنسان لو يعمر ألف سنة مترافق مع التعلق بالدنيا والحرص عليها، لا يحمل خيراً للإنسان، بل عواقبه ستكون سيئة وفيها ضرر كبير عليه.

يقول الإمام السجاد عليه السلام: «وعمرني ما كان عمري بذلة في

(١) ميزان الحكمة، مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٩٤.

طاعتك فإذا كان عمري مرتعاً للشيطان فاقبضني إليك قبل أن يسبق مقتك إلي»^(١).

هـ- لا يجب أن ننسى أن المذموم في الآيات والروايات ليس أصل الدنيا، ولا النعم الدنيوية، بل المذموم هو الإفراط في حب الدنيا إلى درجة الحرص والعبودية، فإذا أصبحت الدنيا هي المعبود والهدف والمعشوق، والموجّه والأمر والنهي، تكون عندها مذمومة وتوجب السقوط، أما إذا كانت الدنيا في اختيار الإنسان، مركباً وممراً ومزرعة ومسجداً للآخرة، عندها يمكن أن تكون أفضل فرصة وأكبر نعمة من أجل بناء الآخرة وإعمار الأبدية فيها، ورسالة الدين الإسلامي للإنسان هي التالي: «أيها الإنسان الدنيا لك ولأجلك وأنت لست لها ولا لأجلها، فلا تكن عبداً لعبدك».

١٢- أذية اليهود للمسلمين:

﴿لَتَبْلُؤَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(٢).

شأن النزول: «نزلت الآية في كعب بن الأشرف وكان يهجو النبي ﷺ والمؤمنين ويحرض المشركين عليهم ويشتبب بنساء المسلمين فقال ﷺ: من لي بابن الأشرف؟ فقال محمد بن سلمة: أنا يا

(١) دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين عليه السلام: مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، الناشر دبوبق، بيروت، ط١، ص ١٢٤، ٢٠٠٧م.

(٢) سورة آل عمران: ١٨٦.

رسول الله فخرج هو وأبو نائلة مع جماعة فقتلوه غيلة وأتوا برأسه إلى النبي ﷺ آخر الليل وهو قائم يصلي»^(١).

أ - مرة أخرى تطرح هذه الآية توحد اليهود والمشركين في جبهة واحدة وهدف واحد مشترك ضد المسلمين، وقد ذكر اليهود في هذه الآية قبل المشركين، علماً بأن أذى اليهود للمسلمين حصل في زمن متأخر عن أذى المشركين، لأن أذاهم جاء بعد الهجرة النبوية إلى المدينة، وهذا دليل على أن أذى اليهود أشد على المسلمين وأخطر من أذى المشركين، ثم أنه لم يكن متوقفاً صدور الأذية من بني إسرائيل، لأنهم من جهة، هم أهل كتاب، ومن جهة ثانية، كانوا يعلمون ببعثة النبي الموعود ﷺ، وإنما جاؤوا إلى المدينة بانتظار هذه البشارة.

ب - من الامتحانات الإلهية للمؤمنين تحمّل أذى الأعداء باللسان والتعدّي الجسدي عليهم، والصبر والصمود في مقابل هذا الأذى يوجب الرشد والكمال والعلو الروحي عند المؤمنين.

ج - الأذى العملي والكلامي الصادر من المشركين يرجع منشؤه إلى الجهل والعادات الجاهلية، في حين أن أذى اليهود وعدوانهم يعود إلى عنادهم وحقدهم وحسدتهم وحرصهم على الدنيا، مع علمهم بأحقية المسلمين المعتدى عليهم.

(١) مجمع البيان، مصدر سابق، ج ١-٢، ص ٩٠٢.

د- إن أسلوب الأشخاص الذين لا منطقت لديهم، ولا يعتمدون على أصول استدلالية ومنطق سليم، هو الاعتداء باللسان والجسد على كل من يخالفهم، وتوسل سبل الخداع والكذب وخلق أجواء غير ملائمة لخداع الآخرين وتضليلهم وحرف أفكارهم وعقائدهم، كل ذلك من باب خبث الباطن والروحية الاستعلائية المستكبرة، وأبرز مصداق لهؤلاء الأشخاص هم اليهود.

ه- إن تحمل الأذى المعنوي باللسان، والصبر على الاعتداء على الأفكار والمعتقدات والمقامات، والتعرض إلى القيم السامية بالنسبة إلى الإنسان المؤمن الغيور والمعتقد بالمباني والقيم الإنسانية، أشد وأصعب بمراتب من تحمل ضرب السيوف وقصف المدافع. لذلك يحتاج هذا النوع من التحمل إلى صبر أكبر وتقوى أقوى، من هنا فإن هذه الآية توصي المؤمنين بذلك.

و- الأذى نوع من الامتحان الإلهي للمؤمنين، والصبر يوجب ارتقاء روحياً وعلواً في الدرجات وصولاً إلى مراتب في الكمال الإنساني، بالإضافة إلى يأس الأعداء وعدم تمكنهم من إلحاق الضرر الكبير بالمؤمنين، يقول تعالى: **لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أذىً وَإِنْ يُقاتِلُكُمْ يُولُوْكُمْ الْاَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ** (١).

(١) سورة آل عمران: ١١١.

ز- كلما ترافق الصبر والاستقامة مع ملكة التقوى ومراقبة النفس
ولجم أهوائها، يصبح العمل أكثر اطمئناناً، وأكبر قوة وصلابة،
وتكون النتيجة فشل العدو وعدم الوصول إلى تحقيق غاياته.

الفصل الخامس:

نتيجة أفعال اليهود:

السؤال الذي يطرح في هذا المضمار هو التالي: ما هي النتيجة الحتمية لأفعال اليهود؟، وإلى أين وصلت بهم مواقفهم الفكرية والعقائدية؟، وما هي عاقبتهم بنظر القرآن؟، هل استطاع بنو إسرائيل التمتع بالنعمة الإلهية والاستفادة منها، أو أنها تبذلت إلى عقاب ونقمة؟.

إن التوجه إلى هذا البحث بإمعان، والتأمل فيه بدقة، يكشف بوضوح أن فيه عبرة كبيرة ودروس قيّمة من خلال التدبر في تاريخ الأمم السابقة وقصصهم وأفعالهم، وهذا أهم هدف من جريان هذه القصص على لسان القرآن، وفيه آثار بناءة وعبر قيمة للأمة الإسلامية وللمؤمنين الثوريين الذين يعتقدون بحاكمية الدين خاصّة. ومن المؤكّد أن ما جرى على اليهود من منحهم النعم المختلفة، ثم معاقبتهم ونزول العذاب الإلهي بأشكال متعددة، لم يكن شيئاً خاصاً باليهود من جهة أنه لا ينطبق على سواهم، بل كان جزءاً من

سنة إلهية يمكن أن تتكرر مرات متعددة مع أقوام مختلفة، من هنا، نرى أن الحديث النبوي الشريف يشير إلى هذه المسألة: «أن هذه الأمة ستركب ما ركبته بنو إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخله هؤلاء»^(١). والمقصود في هذا الحديث الأمة الإسلامية التي ستحذو حذو بني إسرائيل. لذلك، فإن التدبر والاعتبار بقصص اليهود وحياتهم وعاقبتهم مفيد وبناء.

في خلاصة إجمالية، فإن القرآن الكريم يبيّن أن عاقبة بني إسرائيل وما نزل بهم من العذاب، نتيجة حتمية لأعمالهم التي يلخصها الكتاب المبين بييعهم الآخرة بالدنيا، وهذا ما أوجب شتى أنواع العذاب في الدنيا، والعقاب العسير في الآخرة، بحيث لم يجدوا لهم من نصير: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾**^(٢).

وفي توضيح آخر يظهر القرآن أن هؤلاء اليهود اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾**^(٣). وطبعاً هذه أسوأ تجارة وأخسرها على الإطلاق، والعاقبة أن الكفر بما أنزل الله يستوجب غضب السماء ونزول العذاب: **﴿بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزَلَ**

(١) تفسير الميزان، مصدر سابق، ج ١٢ - ص ٤٣ - ٤٤.

(٢) سورة البقرة: ١٦.

(٣) سورة البقرة: ١٧٥.

الله مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١﴾. على أن العقاب الإلهي في الدنيا بعضه كان لمدة قصيرة واختصَّ بجزء من بني إسرائيل، والبعض الآخر يشمل جميع اليهود وهو دائم وأبدي حتى يوم القيامة، والبعض الآخر يتعلق بعذاب ما بعد الموت، ابتداء من القبر حتى الوصول إلى المحكمة الإلهية الكبرى، وتحديد المصير النهائي.

وهذا بعض ما نزل ببني إسرائيل من عذاب وعقاب، وما حل بهم نتيجة أفعالهم ومواقفهم استناداً إلى الآيات القرآنية:

أ- الغضب الإلهي:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسُهَا وَبَصَلَهَا قَالَ أَلَسْتَبْدُلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مَضْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بَأْسُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٢).

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بَأْسُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٣).

(١) سورة البقرة: ٩٠.

(٢) سورة البقرة: ٦١.

(٣) سورة آل عمران: ١١٢.

ب- الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ :

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسَهَا وَبَصَلَهَا قَالَ أَمْ تُسْتَبَدُّونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مَصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بَأْتُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(١)

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُخَفُّوهُ إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بَأْتُهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(٢)

ج- لعنة الله والأنبياء :

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣)

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(٤)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾^(٥)

(١) سورة البقرة: ٦١.

(٢) سورة آل عمران: ١١٢.

(٣) سورة البقرة: ٨٨.

(٤) سورة المائدة: ٧٨.

(٥) سورة البقرة: ١٥٩.

د- التزرق والعداوة فيما بينهم:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١)

هـ- المسخ:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾^(٢)

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾^(٣)

و- التيه في الأرض:

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾^(٤)

ز- الافتضاح في الدنيا:

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرَجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى فَتَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ

(١) سورة المائدة: ٦٤.

(٢) سورة البقرة: ٦٥.

(٣) سورة الأعراف: ١٦٦.

(٤) سورة المائدة: ٢٦.

أَفْتُونُونَ بَعْضَ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢)

ح- تحريم الطيبات:

﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أَحَلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (٣)

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اختَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٤)

ط- تسلط من لا يرحمهم:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥)

(١) سورة البقرة: ٨٥.

(٢) سورة البقرة: ١١٤.

(٣) سورة النساء: ١٦٠.

(٤) سورة الانعام: ١٤٦.

(٥) سورة الاعراف: ١٦٧.

ي- حبط العمل:

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١)

ك- العذاب السماوي:

﴿قَبَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ (٢).

﴿قَبَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٣).

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِئِن كَشَفْتُمْ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٤).

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (٥).

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ (٦).

(١) سورة الأعراف: ١٤٧.

(٢) سورة الأعراف: ١٦٢.

(٣) سورة البقرة: ٥٩.

(٤) الأعراف: ١٣٤.

(٥) سورة البقرة: ٥٥.

(٦) سورة النساء: ١٥٢.

ل- أشد العذاب الأخروي:

﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١)

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرَجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتُونُونَ بَعْضُ الْكُتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ مَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٢)

بناءً للسنة الإلهية كل ذلك هو نتيجة حتمية لأفعال اليهود وأفكارهم ومواقفهم، فهم بأعمالهم وسلوكهم استحقوا الغضب الإلهي والعذاب السماوي: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٣)

وعلى الرغم من كل تلك المعاصي والذنوب فإن الله تعالى لم يقفل أبواب الرجوع والتوبة في وجه بني إسرائيل، بل دعاهم إلى الإيمان والتقوى، وعفا عنهم مرات عديدة، ووعدهم بالتكفير عن خطاياهم، ومنحهم النعم والرزق الوافر: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾^(٤)

(١) سورة البقرة: ٨١.

(٢) سورة البقرة: ٨٥.

(٣) سورة النحل: ١١٨.

(٤) سورة المائدة: ٦٥.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

هذه هي سنة الله في الخلق وهذا هو قانونه العادل، فالإيمان به والعبودية له والتسليم لأحكامه وكتبه ورسله تقابلها النعم والألطف الإلهية، أما العناد والكفر والفساد والتكذيب فيوجب الغضب والعذاب: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢).

اللهم إنا نسألك وندعوك أن تكون ممن تشملهم رحمتك وألطفك وعضوك في الدنيا والآخرة، وأن لا تكون ممن يُطردون من رحمتك فتكون من الخاسرين.

والحمد لله رب العالمين

(١) سورة المائدة: ٦٦.

(٢) سورة الأعراف: ٩٦.

الفهرس

- الإهداء..... ٧
المقدمة الثانية للكتاب: ٩

الفصل الأول: ١٥

- تاريخ اليهود..... ١٥
أهم ما جاء في الموائيق «الوصايا العشرة»: ٢١
أسماء اليهود: ٢٤
١- اليهود: ٢٥
٢- بني إسرائيل: ٢٥
٣- العبرانيون: ٢٦
٤- أهل الكتاب: ٢٦
كتاب اليهود المقدس: ٢٧
كاتب الكتاب المقدس: ٢٧
توضيح: ٢٨

الفصل الثاني: ٣١

- نعم الله على بني إسرائيل: ٣١
- ١- نعمة إرسال الأنبياء بكثرة: ٣١
- ٢- تفضيلهم على الأمم المعاصرة: ٣٣
- ٣- الانتصار على فرعون: ٣٥
- ٤- نزول التوراة (الألواح): ٣٧
- ٥- العفو العام والحياة ثانية: ٣٩
- ٦- النعم المادية: ٤١
- ٧- النجاة من المصاعب والأزمات الاجتماعية: ٤٢
- ٨- البشارة وذكر علامات الرسول الخاتم ﷺ: ٤٤

الفصل الثالث: ٤٧

- التموضع الفكري والعقائدي لليهود ٤٧
- ١- الحسبية (لا يؤمنون إلا بما تدركه الحواس) ٤٨
- ٢- نسبة العجز إلى الله تعالى: ٥١
- ٣- نسبة الابن إلى الله تعالى: ٥٥
- ٤- الشرك في الربوبية والتدبير: ٥٨
- ٥- الاستعلاء والعنصرية: ٦١
- ٦- نسبة الفقر إلى الله تعالى: ٦٤
- ٧- الكفر عناداً: ٦٦
- ٨- وحدة الفكر مع المشركين: ٧٠
- ٩- إضلال الناس (الهجوم الثقافي): ٧٣
- ١٠- مخالفة الأحكام الإلهية: ٧٦
- ١١- سوء السريرة والضعفينة: ٧٩
- ١٢- العداوة والبغضاء للمسلمين: ٨١

الفصل الرابع : ٨٧

- أفعال اليهود العملية: ٨٧
- ١- النكث بالعهود: ٨٨
- ٢- التكذيب وقتل الأنبياء: ٩٣
- ٣- التجسس: ٩٧
- ٤- الصد عن سبيل الله تعالى: ١٠٠
- ٥- الاستهزاء بالدين: ١٠٣
- ٦- نشر الفساد: ١٠٥
- ٧- الافتراء على الله الكذب: ١٠٩
- ٨- قساوة القلب: ١١١
- ٩- النفاق: ١١٦
- ١٠- شراء متاع الدنيا بالدين: ١١٩
- ١١- الحرص على الدنيا: ١٢٤
- ١٢- أذية اليهود للمسلمين: ١٢٧

الفصل الخامس : ١٣١

- نتيجة أفعال اليهود: ١٣١
- أ- الغضب الإلهي: ١٣٣
- ب- الذلّة والمَسْكَنَة: ١٣٤
- ج- لعنة الله والأنبياء: ١٣٤
- د- التفرق والعداوة فيما بينهم: ١٣٥
- هـ- المسخ: ١٣٥
- و- التّيه في الأرض: ١٣٥
- ز- الافتضاح في الدنيا: ١٣٥
- ح- تحريم الطيبات: ١٣٦

سِمَاتِ الْيَهُودِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

- ط- تسلط من لا يرحمهم: ١٣٦
- ي- حبط العمل: ١٣٧
- ك- العذاب السماوي: ١٣٧
- ل- أشد العذاب الأخروي: ١٣٨
- الضهرس..... ١٤١